أبحاث

حروف الغاية
بين اللغويين والأصوليين

د. محمد إسماعيل عثمان زين[*]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آلـه وأصحابه الميامين الغر المحجلين.

أما بعد..

حَظِيَتْ حروف الغاية باهتمام أهل العلم من علماء العربية وأصول الفقه حتى نجـد هذا الاهتمامَ جليًا في مصنفاتهم من كتبِ اللُّغة بفروعها وأصول الفقه والفقه والتفسير. وما كان ذلك هكذا إلا لإدراكهم أهمية هذه الحروف في السياق الدلالي للقرآن الكريم بوصفها جزءًا أصيلًا من بِنْية هذا النظم الحكيم، تلعب دورا مهمًا في تحديد الـدلالات القرآنية التي من خلالها يمكن بناء الأحكام الشرعية عليها؛ ولهذا كان هذا البحث الذي يدور حول «حروف الغاية بين اللغويين والأصوليين».

أهداف البحث:

يمكن للبحث أن يحقق العديد من الأهداف؛ منها ما يلي:

(*) أستاذ الفقه وأصوله بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية – بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة.

١- بيان جهود علماء النحو والأصول في استخراج خفايا المعاني ودقائقها؛ من خلال توظيف التراكيب البلاغية والنحوية.

٢- توضيح ما يتميز به البحث الأصولي من ثراء لغوي ودلالي، علاوة على إبراز دور النحو في تناوله لمعاني الغاية، من خلال الحروف التي وضعت لها.

٣- إظهار مدى الترابط بين علمي الأصول والنحو، والكشف عما يمكن أن تبرزه الدراسة المقارنة للمعاني والدلالات المشتركة بين العلمين.

أهمية البحث:

لهذا الموضوع أهمية بالغة، يتجلى بيانها على النحو التالي:

١- أن الدلالات تعد من أهم موضوعات أصول الفقه، إذ أهمية الجزء تدل على أهمية الكل، ولهذا كانت دلالات الغاية من المسائل المهمة التي يجب الاعتناء بها، وتحقيقها وتمحيصها.

٢- يكشف البحث عما يمثله البحث اللغوي والنحوي للأصوليين؛ وكيف شكلت المادة النحوية عند الأصوليين جزءًا كبيرًا من أصول قواعدهم وأحكامهم وآرائهم، كما كانت محورًا لمسائل متعددة ومباحث عظيمة، امتلأت بها مصنفاتهم.

٣- أن دلالات الغاية لم تنتظم في عقد واحد عند علماء الأصول، بل تفرقت في كتبهم، وربما أحالوا دلالاتها على غيرها؛ فلذلك أردت جمع شتاتها في هذه الأطروحة، وإظهارها في حلة زاهية، تكون سببًا وتحفيزًا في اطلاع طلبة العلم على دلالات ومعاني الحروف والألفاظ عند كل من علماء اللغة والنحو والأصول.

٤- تعلق مباحث الغاية بمباحث لغوية كثيرة، كما في معاني الحروف الدالة على الغاية – سواء كانت تلك الدلالة وضعت أصالة أم تبعا – والحروف التي تدل على انتهاء الغاية وابتدائها، والمسائل الفقهية المتعلقة بدلالات هذه المعاني.

منهج البحث:

أخذ البحث في هذا الموضوع منهجًا تحليليًّا مقارنًا، معتمدًا في ذكره على المعاني ووجوه الدلالات على المقارنة بين ما ورد لدى كل من النحاة واللغويين من جانب، والأصوليين من جانب آخر.

ومن خلال ما عرض له البحث من إبراز معاني الغاية والحروف الدالة عليها، حاول رصد مظاهر الاتصال بين علمي الأصول والنحو واللغة، ومظاهر الاختلاف أيضا المتعلقة بهذه المعاني والدلالات، وبهذا فقد أسهم البحث، إضافة إلى مبحث الدرس الأصولي والنحوي في الكشف عن منهج الأصوليين وأرباب اللغة والنحو في تناولهم.

خطة البحث:

جاء البحث في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة: تتناول الحديث عن الموضوع، وأهدافه، وأهميته، ومنهج البحث.

المبحث الأول: التعريف بمفردات البحث:

المطلب الأول: تعريف الحرف لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: تعريف الغاية لغة واصطلاحًا.

المبحث الثاني: الحروف الموضوعة للغاية أصالة:

المطلب الأول: معاني حرف «إلى» وما يرد له.

المطلب الثاني: معاني حرف «حتى» وما يرد له.

المبحث الثالث: الحروف الموضوعة لغير الغاية، مع إفادتها معنى الغاية.

والخاتمة: وفيها أهم ما توصل إليه البحث من نتائج، والتوصيات التي يوصي بها.

* * *

المبحث الأول

التعريف بمفردات البحث

المطلب الأول: تعريف الحرف لغة واصطلاحًا

أولاً: تعريف الحرف لغة:

يطلق الحرف في اللغة ويراد به الطرف: فحرف كل شيء طرفه وحده وشفيره؛ فالحرف أحد حروف التهجي لأنه طرف من جانب منها، ويجمع على أحرف وحروف.

والحرف أيضًا هو الوجه الواحد، فحرف الشيء أحد وجهه أو وجهيه، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ ﴾(1) قالوا في معناه: على وجه واحد(2).

ويطلق أيضا ويراد به: اللغة من اللغات ومن ذلك قوله ﷺ: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف شاف كاف»(3).

ثانيًا: الحرف في الاصطلاح:

الحرف يطلق في اصطلاح العلماء(4) على ما دل على معنى في غيره أو ما أفاد معنى

---

(١) سورة الحج، الآية: ١١.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١)، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م (١٧/١٢).

(٣) أخرجه النسائي (١٥٣/٢) كتاب الافتتاح، باب: جامع ما جاء في القرآن، (٩٣٩) من حديث أبي ابن كعب.

وأخرجه الطبراني في الكبير (١٥٠/٢٠) رقم (٣١٢) من حديث معاذ.

وقال الهيثمي في المجمع (١٥٣/٧): رجاله رجال الصحيح.

(٤) ينظر: الأصول في النحو، لابن السراج: أبي بكر محمد بن سهل، تحقيق: د.عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط(٣)، ١٩٨٨م (٥٠/١)، وعلل النحو، لأبي الحسن محمد بن عبد الله الوراق، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، الطبعة الأولى، ص(١٤٢)، واللمع في أصول الفقه، لأبي إسحاق الشيرازي، مطبعة مصطفى الحلبي، ١٣٧٧هـ، ص(٧)، والجنى الداني في حروف المعاني، للحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: د. فخر الدين=

في غيره، والضمير في (غيره) إما عائد إلى اللفظ بمعنى أن الحرف لا يدل بنفسه بل بانضمام لفظ آخر إليه وإما إلى المعنى أي أنه غير تام في نفسه فلا يحصل من اللفظ بل بانضمام شيء آخر إليه.

والأمثل من هذا التعريف أن يقال«الحرف: كلمة دلت على معنى في غيرها»(١).

والحروف: صلات بين الأسماء والأفعال(٢).

وتسمى الحروف: الرابطة؛ لأنها الأداة التي تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل، كـ(عن) ونحوها(٣). ولأنها توصل معاني الأفعال إلى الأسماء(٤).

ولكون الحرف لا يدل على معنى إلا في غيره – وإن كان بعض الحروف لا يشترط أن يذكر غيرها فإنه مقدر معها – فالحرف لا بد له من ذكر غيره معه فهو مفتقر إلى غيره ليفيد فيه معناه مثل «نعم وبلى وأي...» في الجواب تقول «ألست قد أحسنت

=قباوة، د. محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١) ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م (١/١)، وشرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام عبد الله جمال الدين الأنصاري، تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة، سوريا، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص(١٨)، والتمهيد في تخريج الفروع على الأصول، لجمال الدين الإسنوي، تحقيق: د/ محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (٨)، ١٤٠١ هـ (١٩٨/١)، والتعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط(١)، ١٤٠٥هـ، ص(١١٤)، والتحبير شرح التحرير، ابن أمير الحاج، دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٩٩م (٢٩٧/١)، وهمع الهوامع شرح جمع الجوامع، للسيوطي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط(١)، ١٣٢٧هـ، وطبعة أخرى، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر (٢٥/١)، وشرح الكوكب المنير لابن النجار، محمد بن أحمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي، تحقيق: د. محمد الزحيلي، د. نـزيه حماد، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م (١١٣/١).

(١) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، ص(١).

(٢) ينظر: البرهان في أصول الفقه، لإمام الحرمين، تحقيق: د/ عبد العظيم الديب، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ، كلية الشريعة جامعة قطر (٧٩/١)، فقرة (٨٩).

(٣) ينظر: لسان العرب، للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ص (٨٣٧).

(٤) ينظر: شرح المنار، لابن ملك، ١٣١٩هـ، مطبعة دار سعادات، القاهرة، ص(٤٣١).

إليك؟» فيجاب: بلى أي: بلى قد كان.

وبذلك يظهر أن الحرف أحد أقسام الكلام الثلاثة وهي:

١- الاسم: وهو ما دل على معنى في نفسه، ولا يلزم منه الزمان الخارج عن معناه لبنيته، أو دل على معنى في نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة[١].

٢- الفعل: وهو ما دل على حدث مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة[٢].

٣- والحرف: وهو ما دل على معنى في غيره.

يقول ابن مالك في ألفيته[٣]:

كَلامُنَا لَفْـــظٌ مُفِيـــدٌ كاسْـــتَقِمْ   وَاسْمٌ وَفِعْلٌ ثُمَّ حَـــرْفٌ الْكَلِـــمْ

قال ابن عقيل: «والكلم اسم جنس واحده كلمة وهي إما اسم، وإما فعل، وإما حرف؛ لأنها إن دلت على معنى في نفسها غير مقترنة بزمان فهي الاسم وإن اقترنت بزمان فهي الفعل، وإن لم تدل على معنى في نفسها بل في غيرها فهي الحرف»[٤].

المطلب الثاني: تعريف الغاية لغة واصطلاحًا

أولاً: تعريف الغاية لغة:

الغاية: مأخوذة من مادة (غي)[٥]، قال اللَّيْثُ: «الغايَةُ مَدى كلِّ شيءٍ، وأَلِفُه يـــاءٌ، وهو من تأْليف غَيْنٍ وياءَينِ، وتَصْغيرُها غُيَيَّة تقول: غَيَّيْت غاية؛ وفي الحديث: «أنـــه

(١) ينظر: شرح شذور الذهب، ص(١٨)، وهمع الهوامع (١/٢٥).

(٢) ينظر: البحر المحيط، الزركشي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١)، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م (١/٤٦٨)، وهمع الهوامع (١/٢٥).

(٣) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، لابن عقيل: بهاء الدين عبد الله بن عقيل، تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط(٢٠) (١/١٣).

(٤) ينظر: شرح ابن عقيل على الألفية (١/١٥).

(٥) ينظر: لسان العرب (١٠/١٦٣)، مادة (غيا)، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك، لعلي بن محمد الأشموني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، ط(١)، ١٩٥٥م (٤/٤٤٤).

سابَق بَيْنَ الخَيْلِ فجعَلَ غايةَ المُضَرَّةِ كذا»[١] هو من غاية كلِّ شيءٍ مَداهُ ومُنْتَهاه وغاية كلِّ شيءٍ مُنْتهاهُ وجمعها غاياتٌ وغايٌ مثلُ ساعَةٍ وساعٍ؛ وعلى هذا فأصلها (غيية) بيائين فلما تحركت ياؤها الأولى بعد فتحة قلبت ألفا[٢]، فصارت «غاية».

لكن حكى أهل العلم شذوذه؛ لأن من شروط قلب الياء. أو الواو ألفا ألا يجتمع في الكلمة حرفا علة – واوان. أو ياءان، أو واو وياء – وكل منهما يستحق الإعلال لتحركه وانفتاح ما قبله. ففي هذه الحالة لا بد من تصحيح أحدهما: لئلا يجتمع إعلالان في كلمة واحدة. والآخر أحق بالإعلال؛ لأنه الطرف محل التغيير[٣]؛ وهاهنا في الغاية اجتمعت ياءان كل منهما تستحق الإعلال؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها، فكان الأصل إعلال الثانية؛ فيقال فيها: (غياة). فلما أعلت الأولى كان هذا شذوذًا.

قال الإسترباذي: «وشذ غَايَة وغَاي، ورَاية وراي، وآية وثاية، والقياس غوَاة أو غيَاة، والأول أولى، لأن باب طَوَيْت أكثر من باب حَيِيَ، وإنما قلنا بشذوذ ذلك لأن الأولى إعلال الآخر كما في هَوَى ونَوَى»[٤].

وقال الأشموني: «أصلها غيية، وأعلت الياء الأولى وصحت الثانية، وسهل ذلك كون الثانية لم تقع طرفا»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٨٣/٦) كتاب الجهاد والسير: باب السبق بين الخيل حديث (٢٨٦٨)، ومسلم (١٤٩١/٣)، كتاب الإمارة: باب المسابقة بين الخيل وتضميرها حديث (١٨٧٠/٩٥).

(٢) شرح شافية ابن الحاجب الاستراباذي مع شرح شواهده، لعبد القادر البغدادي، حققهما وضبط غريبهما وشرح مبهمهما: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م (٢٠٩/٣)، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ص(١٩٦)، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك (٤٤٠/٤، ٤٤١).

(٣) الكتاب، لسيبويه: أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م (٣٩٨/٤)، وشرح ابن عقيل على الألفية (١٩٨/٤)، وشرح الأشموني على الألفية (٤٤٣/٤، ٤٤٤).

(٤) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب (١١٨/٣).

(٥) ينظر: شرح الأشموني لألفية ابن مالك (١١٨/٤).

وتطلق الغاية على جملة من المعاني يمكن بيانها على النحو التالي:

١- أقصى الشيء ومداه وآخره ومنتهاه[١]، يقال غيا الشيء غاية أي جعل له نهاية[٢].

وأغيا الرجل بلغ الغاية أي النهاية في الشرف والأمر، وأغيا الفرس في سباقه بلغ الغاية وأغيا الأمر كذلك[٣].

ويقال في صواب الرأي أنت بعيد الغاية[٤]، وغايتك أن تفعل كذا أي: نهاية طاقتك أو فعلك[٥].

قال أبو بكر الأنباري: «معنى قولهم: هذا الشيء غاية، أي: هو مُنتهى هذا الجنس في الجودة. أخذ من غاية السَّبْق، وهي قصبةٌ تُنصب في الموضع الذي تكون المسابقة إليه، ويكون منتهى السبق عندها، ليأخذها السابق»[٦].

ومن هذا المعنى ما رواه ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «سَابَقَ النَّبِيُّ ﷺ بِالخَيْلِ الَّتِي قَدْ ضُمِّرَتْ مِنَ الحَفْيَاءِ، وَكانَ أَمَدُهَا ثَنِيَّةَ الوَدَاعِ، وَسَابَقَ بَيْنَ الخَيْلِ الَّتِي لَمْ تُضَمَّرْ

---

(١) ينظر: الصحاح، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: إميل بديع يعقوب، ط(١) ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (٥/١٩٥٠).

(٢) ينظر: تصريف الأفعال، د. عبد الرحمن محمد شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٩١م (٢/٤٤٦)، وتاج العروس من جواهر القاموس «شرح القاموس»، للإمام اللغوى محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، حكومة الكويت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م (٣٩/٢٠٥)، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للعلامة أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، دار المعارف، القاهرة، ط(٢)، ص(٢٧٢)، ومختار الصحاح ص(٤٨٨).

(٣) ينظر: الأفعال (٢/٤٤٦)، وتاج العروس (٣٩/٢٠٥).

(٤) ينظر: أساس البلاغة (١/٤٦٠)، وتاج العروس (٣٩/٢٠٥).

(٥) ينظر: المصباح المنير (٢/٤٥٧)، والمعجم الوسيط، إخراج: مجمع اللغة العربية، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م (٢/٦٦٩).

(٦) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، للأنباري، مؤسسة الرسالة (١/٤٢٨)، ولسان العرب (١٥/١٤٣).

مِنَ الثَّنِيَّةِ إِلَى مَسْجِدِ بَنِي زُرَيْقٍ، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ فِيمَنْ سَابَقَ»(١).

وفي رواية أخرى من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ سابق بين الخيل، المضمرة منها من الحفياء إلى ثنية الوداع، والتي لم تضمر من ثنية الوداع إلى مسجد بني زريق»(٢).

٢- الراية(٣):

قال ابن فارس: «ثم سميت نهاية الشيء غاية، وهذا من المحمول على غيره، إنما سميت غاية بغاية الحرب: لأنه ينتهي إليها كما يرجع القوم إلى رايتهم في الحرب»(٤).

ومنه قول النبي ﷺ في الكوائن قبل الساعة: «... ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفا»(٥).

قال أبو زيد: «يقال غييت للقوم تغييا، ورييت لهم تريا: جعلت لهم غاية وراية»(٦).

---

(١) أخرجه مالك (٤٦٧/٢، ٤٦٨) كتاب الجهاد باب ما جاء في الخيل حديث (٤٥)، والبخاري (٦١٤/١) كتاب الصلاة، باب: هل يقال مسجد بني فلان، حديث (٤٢٠)، ومسلم (١٤٩١/٣) كتاب الإمارة، باب: المسابقة بين الخيل، حديث (١٨٧٠/٩٥) من طريق نافع عن ابن عمر.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٤٩١/٣) كتاب الإمارة، باب: المسابقة بين الخيل، حديث (١٨٧٠): وابن ماجه (٩٦٠/٢) كتاب الجهاد، باب: السبق والرهان، الحديث (٢٨٧٧).

(٣) ينظر: الصحاح (١٩٥/٥)، مادة (غيي)، ولسان العرب (١٦٣/١٠)، مادة (غيا)، وأساس البلاغة للزمخشري، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م (١٨٠/١)، مادة (غ ي ي)، والمصباح المنير ص(٢٧٢)، مادة (غ وى)، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط(٢) ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م، وطبعة أخرى، ضبط وتوثيق: يوسف الشيخ، دار الفكر، بيروت، لبنان ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م (١٧٢٩)، باب الواو والياء، فصل الغين، مادة (غيي)، ومعجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط(١)، ١٩٩١م، ص (٤٠٠)، مادة (غوى)، وتاج العروس (٢٧٤/١٠)، مادة (غيي).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٤٠٠/٤)، مادة (غوى).

(٥) أخرجه البخاري (٣٢٠/٦) كتاب الجزية، باب: ما يُحذر من الغدر (٣١٧٦)

(٦) لسان العرب (١٤٤/١٥)، مادة (غيا)، وتاج العروس (٢٧٤/١٠)، مادة (غيي).

ويقال: أغيا الغاية، وغياها: أي: نصبها، وأقامها، وبينها[١].

وقال ابن منظور: «غياها: عملها، وأغياها: نصبها»[٢].

وقال الزبيدي: «غيا للقوم: نصب لهم غاية، أو عملها لهم. وأغياها: نصبها»[٣].

وهذا المعنى مأخوذ من غاية الحرب، وهي الراية التي يرجع إليها القوم في حروبهم. ولهذا ذكر ابن الأنباري ما نقلناه عنه من أنه علامة في جنسه لا نظير له أخذا من غاية الحرب وهي الراية.

ويطلق لفظ الغاية على السحابة المفرودة، أو الواقفة[٤]، كما يطلق أيضا على الطير المرفرف[٥].

وغاية الخمار: رايته، إذ كان صاحب الخمر له راية يرفعها ليعرف أنه بائع خمر. وعليه قول لبيد:

قَد بِتُّ سامِرَها، وغَايَــة تــاجرٍ   وافيتُ إذ رُفِعَتْ وَعَزَّ مُــدَامُها[٦]

فالتاجر هو: الخمار، وغايته هي: رايته التي يرفعها ليعرف موضعه[٧].

وتطلق الغاية ويراد بها الفائدة كما ذهب إلى هذا بعض المتأخرين من علماء اللغة[٨]

---

(١) القاموس المحيط (١٧٢٩/٢)، باب الواو والياء، فصل الغين، مادة (غيى).

(٢) ينظر: لسان العرب (١٤٤/١٥).

(٣) ينظر: تاج العروس (٢٠٥/٣٩).

(٤) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج وآخرين، مصطفى البابي الحلبي، مصر، وطبعة أخرى، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١)، ٢٠٠٠م (٥٤٨/٥).

(٥) ينظر: لسان العرب (١٤٤/١٥).

(٦) ينظر: ديوان لبيد، تحقيق: د. إحسان عباس، مطبعة حكومة الكويت، ط(٢)، ١٩٨٤م، ص (١٠٣)، وتهذيب اللغة، للأزهري، محمد بن أحمد، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط(١)، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م (١٨٧/٨).

(٧) ينظر: تهذيب اللغة (١٨٧/٨)، ولسان العرب (١٤٤/١٥).

(٨) ينظر: أقرب الموارد، للشرتوني (٨٩٧/٢)، ومحيط المحيط: بطرس البستاني، مكتبة لبنان، بيروت، ص(٦٧٣).

وفي ذلك نظر لأن الغاية تخالف الفائدة في الاعتبار لا في الذات لأن ترتيب أي أثر على الفعل يكون نتيجة لذلك الفعل وثمرة له، وهذا ما يسمى بالفائدة.

أما الغاية: فإنها تمثل طرف ونهاية ذلك الفعل، وبذلك يختلفان[١]، ومن كل هذا نستطيع القول بأن المعنى المراد هنا: هو منتهى الشيء ومداه الذي يترتب عليه حصول الشيء.

ثانيًا: تعريف الغاية اصطلاحًا:

يتنوع تعريف أهل العلم لمفهوم الغاية حسبما يتجه كل منهم في المعنى الذي يريده في استعماله.

١- تعريف النحاة للغاية:

عرف علماء النحو واللغة الغاية بأنها: الظرف المقطوع عن الإضافة بحذف المضاف إليه لفظا، وإرادته معنى[٢] كما في قبل وبعد؛ فإن المعنى فيهما قبل هذا، وبعد هذا أو كائن ومستقر قبل هذا وتسمى عندهم بظرف الغاية وذلك لأن الظرف كما في قبل وبعد إذا أضيف كانت غايته ونهايته آخر المضاف إليه فبه يتم الكلام فإذا قطع عن الإضافة وأريد معنى الإضافة فقط صار غاية الكلام[٣].

٢- تعريف الأصوليين للغاية:

عرف الزركشي في البحر المحيط الغاية بقوله: «نِهَايَةُ الشَّيْءِ وَمُنْقَطَعُهُ وَهِيَ حَدٌّ

---

(١) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون، محمد على الفاروقى التهانوى، تحقيق: د. لطفى عبد البديع، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣م، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، المؤسسة المصرية العامة (١٠٩٤/٣، ١١٠٢)، وأبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، لصديق بن حسن القنوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م (٤٩/١)، والبحر المحيط، للزركشي (٢٨/١).

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون (١١٠٢/٣)، وشرح المفصل، لموفق بن علي بن يعيش، مكتبة المتنبي، القاهرة، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م (٨٥/٤).

(٣) الخليل، ليمتري، ص(٢٦٥).

لِثُبُوتِ الْحُكْمِ قَبْلَهَا وَانْتِفَائِهِ بَعْدَهَا»[١].

ويقرب من هذا المعنى ما ذكره العلامة الشوكاني في إرشاده بقوله: «نهاية الشيء المقتضية لثبوت الحكم قبلها وانتفائه بعدها»[٢] لكن يرد على التعريفين أنهما عرفا الغاية ببيان حكمهما وفرق بين تعريف الشيء وبين بيان حكمه، ولم يذكرا أيضا شيئا من أدوات الغاية أو مثالا لها يوضح أنها تكون حدا لثبوت الحكم قبلها وانتفائه بعدها.

وقد عرف ابن قدامة مفهوم الغاية بأنه: مد الحكم إلى الغاية بصيغة (إلى) أو (حتى)[٣].

وعرفها الفتوحي بقوله: «أن يأتي بعد العام حرف من أحرف الغاية كـ «إلى، وحتى، واللام»[٤].

وهذان التعريفان أخص من سابقيهما إذ أشارا إلى أدوات الغاية التي تستعمل في ذلك لكن يرد عليه أنه لم يبين ما يحصل حال التخصيص بهذه الغاية هل يخرج بعض ما يشمله العام أو كله، أو لا يخرج من ذلك شيء؟

وبعد بيان مفهوم الغاية في اللغة والاصطلاح يتضح لنا جليا وجود العلاقة بين

---

(١) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه (٤٨٠/٢)، وتشنيف المسامع بجمع الجوامع، للإمام بدر الدين بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق: د. سيد عبد العزيز، د. عبد الله ربيع، مكتبة قرطبة للبحث العلمي (٧٦٦/٢).

(٢) ينظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، وبهامشه شرح ابن قاسم العبادي على شرح جلال الدين المحلي على «الورقات في الأصول»، دار المعرفة، بيروت، سنة ١٩٨٨م (٢٦١/١)، ومدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لعبد القادر بن بدران الدمشقي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ، الطبعة الثانية (٢٥٧/١).

(٣) ينظر: الروضة مع النزهة (١٨٩/٢)، والمستصفى في علم الأصول لأبي حامد الغزالي، المطبعة الأميرية ببولاق، نشر دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٢٢هـ (٢٠٨/٢).

(٤) ينظر: شرح الكوكب المنير (٣٤٩/٣)، والتحبير شرح التحرير (٢٦٢٨/٦).

المعنيين إذ الغاية كما دلت عليها اللغة هي منتهى مدى الشيء وهو المعنى المراد في الاصطلاح لأن دخول أي حرف من حروف الغاية على العام يعني نهاية حكم العام وانقطاع مداه وشموله، ولولا هذه الحروف لظل العام على عمومه.

ولهذا قال الزركشي: الغاية نهاية الشيء ومنقطعه(١) كما تقدم.

* * *

(١) ينظر: اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: د/ حمودة غرابة، دار التوفيق النموذجية للطباعة، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ص(٢٦)، ونفائس الأصول في شرح المحصول، للقرافي: أبو العباس شهاب الدين أحمد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٥م (٢١٥١/٥)، والإحكام في أصول الإحكام، لسيف الدين علي بن أبي علي الآمدي، دار الفكر، بيروت، ط (١)، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م (٢٩١/٢)، ونهاية الوصول إلى دراية الأصول، لصفي الدين محمد بن عبد الرحيم الأرموي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م (١٥٩٥/٤)، ونهاية السول في شرح منهاج الأصول، لجمال الدين الإسنوى، ١٩٨٢م، طبعة المطبعة السلفية، عالم الكتب، بيروت (١١٢/٢)، وشرح العضد على مختصر ابن الحاجب، ط أخيرة، مكتبة مصطفى البابى الحلبى وشركاه (١٤٦/٢)، وتشنيف المسامع (٧٦٥/٢)، وحاشية العطار على جمع الجوامع، للعطار، دار الكتب العلمية، بيروت (٢٤/٢)، وغاية الوصول شرح لب الأصول، للشيخ زكريا الأنصارى، ط أخيرة، شركة مصطفى البابي الحلبي، ص (١٣٦)، وشرح الكوكب المنير (٣٤٩/٣).

المبحث الثاني
الحروف الموضوعة للغاية أصالة

توطئة:

ذكرنا في المبحث السابق معنى الغاية لغة واصطلاحًا، فهي من حيث اللغة دلت على منتهى مدى الشيء، وهذا المعنى بذاته يتحقق في الغاية من حيث الاصطلاح، فدخول أي حرف من حروف الغاية على العام يعني نهاية حكم العام، وانقطاع مداه وشموله، ولولا هذه الحروف والتخصيص بها لظل العام على عمومه.

ومن هذه الحروف الموضوعة أصالة للغاية: «إلى»، و«حتى»؛ ونظرًا لأهمية هذه الحروف في دلالتها على الغاية، فسوف نعرض لها بشيء من التفصيل من خلال مطلبين مستقلين على النحو التالي:

المطلب الأول: معاني حرف «إلى» وما يرد له

حرف «إلى» من حروف الجر، ولها معان كثيرة عند علماء اللغة والنحاة، منها على سبيل المثال: انتهاء الغاية الزمانية والمكانية، والمعية، والتبيين، ومرادفة «اللام»، ومرادفة للظرفية، وبمعنى «عند»، والابتداء، والتوكيد.

وقد أورد علماء النحو الشواهد الدالة على هذه المعاني من القرآن الكريم وأشعار العرب وغيرهما.

وحرف «إلى» من الحروف المتعمقة المؤثرة في المعنى – كما سنرى في بعض الشواهد على دلالاته – ولذا اهتم علماء الأصول اهتمامًا كبيرًا به؛ إلا أنهم اقتصروا على بعض المعاني التي سبق أن ذكرها علماء النحو؛ ولعل السبب في ذلك أن بعض هذه المعاني لها آثار فقهية ينبني عليها أحكام شرعية، ومن هذه المعاني التي اقتصر عليها الأصوليون: انتهاء الغاية، وابتداؤها، والمعية، والظرفية، وفيما يلي نعرض أهم معاني حرف «إلى» التي تناولها علماء النحو وعلماء الأصول، على النحو التالي:

أولًا: دلالة «إلى» على انتهاء الغاية:

ذهب علماء اللغة وعلماء النحو إلى أن حرف الجر «إلى» له ثمانية معان، منها انتهاء الغاية الزمانية والمكانية، واستدلوا على ذلك بشواهد من القرآن الكريم، نحو قوله تعالى في إفادة انتهاء الغاية الزمانية: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾(١)، والمكانية نحو قوله سبحانه: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾(٢).

ثم اشترطوا لإفادة «إلى» انتهاء الغاية، أن تكون هناك قرينة تدل على دخول المغيا، نحو قولك: قرأت القرآن من أوله إلى آخره، ونحو قوله تعالى: ﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾(٣).

ثم بينوا إن لم توجد قرينة تدل على دخول المغيا، فقالوا: إن كان، من الجنس دخل؛ كقوله سبحانه: ﴿ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ﴾(٤)، وقوله: ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾(٥)، وقيل: يدخل مطلقًا، وقيل: لا يدخل مطلقًا.

قال ابن هشام: وهو الصحيح؛ لأن الأكثر مع القرينة عدم الدخول، فيجب الحمل عليه عند التردد(٦).

وبهذا يتبين أن حرف «إلى» من معانيه انتهاء الغاية عند علماء اللغة والنحاة.

أما علماء الأصول فقد اتفقوا على أن حرف «إلى» يأتي لانتهاء الغاية زمانًا أو مكانًا، أو غيرهما، وإن كانت ألفاظهم قد اختلفت نوعًا ما؛ إلا أن مقصدهم لم يختلف

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ١.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٠.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٦.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٦.
(٦) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ١٩٨٧م (١٠٤/١).

في المجمل.

ومن علماء الأصول الذين قالوا بذلك الإمام السرخسي، والبـزدوي، والجـويني، والآمدي، وغيرهم، قالوا: «إلى» لانتهاء الغاية[١].

ونعرض لبعض عباراتهم التي تناولت هذا المعنى بشيء من التفصيل كما يلي:

يقول الإمام علاء الدين البخاري: هذه الكلمة – يعني «إلى»- لانتهاء الغاية علـى مقابلة «من»، يقال: سرت من البصرة إلى الكوفة، فالكوفة منقطع السير، كما كانت البصرة مبتدأه، ويقول الرجل: إنما أنا إليك، أي أنت غايتي، وتقول: قمت إلى فـلان، فتجعله منتهاك من مكانك[٢].

ويقول جلال الدين السيوطي: «إلى» .... ولها معان، أشهرها: انتهاء الغاية زمانًا، نحو قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾[٣]، أو مكانًا، نحو قوله تعالى: ﴿ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾[٤]، أو غيرهما، نحو:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ ﴾[٥]، أي منته إليك[٦].

وأعرب إمام الحرمين الجويني – رحمه الله – عن أن حرف «إلى» مقصود للغايـة،

(١) ينظر: أصول السرخسي، لأبي بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل، تحقيق: أبي الوفاء الأفغاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م (١/٢٢٠)، والتلخيص في أصول الفقه، للإمام الجويني، تحقيق: د. عبد الله جولم، وشبير أحمد العمري، دار الباز، مكة المكرمة، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م (١/٢٢٦).

(٢) ينظر: كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، لعلاء الدين البخاري، ضبط وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م (٢/٢٦٤).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١.

(٥) سورة النمل، الآية: ٣٣.

(٦) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين السيوطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب (٢/٤٤٤).

فقال: وأما «إلى» فحرف جار، وهو للغاية[(١)].

والظاهر أن مراده بالغاية هاهنا انتهاؤها، بدليل قوله في التلخيص: «هذا الحرف — يعني: «إلى» — موضوع لإفادة انتهاء الغاية، وهي نقيضة «من» — يعني: التي هي لابتداء الغاية-»[(٢)].

ومن هنا يتضح أن المراد بالغاية في قولهم: «انتهاء الغاية» هو المسافة، إطلاقًا لاسم الجزء على الكل، إذ الغاية هي النهاية، وليس لها ابتداء وانتهاء[(٣)].

وقيل: قولهم: «انتهاء الغاية» على حذف مضاف، أي: انتهاء ذي الغاية[(٤)]، وقيل: معنى الانتهاء: أن يقع بعد «إلى» المحل الذي انتهى إليه الفعل، نحو خرجت إلى المسجد، أي: إن انتهاء الخروج كان إليه»[(٥)].

غير أن الإمام كمال الدين بن الهمام -رحمه الله- عد تعبير الأصوليين عن معنى الحرف «إلى» بـ «انتهاء الغاية» تساهلًا، حيث قال هو والإمام ابن أمير الحاج -

(١) ينظر: التلخيص في أصول الفقه (٢٢٦/١).

(٢) ينظر: التلخيص في أصول الفقه (٢٢٦/١).

(٣) ينظر: التلويح على التوضيح، مسعود بن عمر التفتازاني، مكتبة صبيح، مصر (٢١٤/١)، وحاشية البناني على جمع الجوامع، ط أخيرة، طبع بمطبعة دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي (٣٦٢/١)، والآيات البينات، لابن القاسم أحمد بن قاسم العبادي، ط (١)، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، دار الكتب العلمية، بيروت (٢٦٣/٢)، وحاشية الرهاوي على شرح المنار، طبعة دار السعادات، المطبعة العثمانية، ١٣١٥هـ (٤٩٢/١)، وشرح كافية ابن الحاجب للاستراباذي (٢٦٧/٤)، وحاشية الصبان على شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك، الصبان: أبو العرفان محمد بن على، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة (٣١٣/٢)، وحاشية الأمير على المغني، لمحمد بن الأمير، عيسى البابي الحلبي، القاهرة (١٤/٢).

(٤) ينظر: تيسير التحرير، لمحمد أمين المعروف بأمير باد شاه، وهو شرح التحرير للكمال بن الهمام، ط أخيرة، مصطفى البابى الحلبى، القاهرة (١٠٨/٢)، وفواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت، لعبد العلى محمد بن نظام الدين الأنصارى، ط١، ١٣٢٢ هـ، مطبوع مع المستصفى، المطبعة الأميرية ببولاق (٢٤٤/١)، وحاشية العطار على شرح المحلى على جمع الجوامع (٤٥٨/١)، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، لمحمد عرفه الدسوقي، تحقيق: محمد عليش، دار الفكر، بيروت (٢٥٥/٢)، وحاشية الأمير على المغني (١٤/٢).

(٥) ينظر: تشنيف المسامع (٥٦٢/١).

رحمهما الله - وقولهم: «لانتهاء الغاية تساهل، وكذا» هو تساهل «بإرادة المبـــدأ، إذ يطلق» الغاية «بالاشتراك عرفًا بين ما ذكرنا» من كون ما بعدها منتهى حكم ما قبلها «ونهاية الشيء من طرفيه» أوله وآخره «ومنه لا تدخل الغايتان» في: عليَّ من درهـــم إلى عشرة، حتى يلزمه ثمانية، كما هو قول زفر – وإنما كان القول المذكور تـــساهلا: «لأن الدلالة بها» أي بـــ (إلى) «على انتهاء حكمه»، أي: حكم ما قبلها «لا» علـــى «انتهائه»، أي: المغيا نفسه، ومن ثمة جاز: أكلت السمكة إلى نصفها»(١).

ولهذا لم يعبر الإمامان محب الله بن عبد الشكور، والأنصاري - رحمهما الله – عن معنى الحرف «إلى» بما عبر به جل علماء الأصول، وإنما قالا: «إلى» لانتهاء حكم مـــا قبلها. إلى ما بعدها، وهو الغاية(٢).

ومن الجدير بالذكر أن ما ذهب إليه جل الأصوليين في إفادة «إلى» لانتهاء الغاية لم يكن حكمًا صادرًا منهم وحدهم، بل هو عين ما ذهب إليه أئمة اللغة والنحو أيضًا(٣)، وقد صرح الإمام المرداوي –رحمه الله– بهذا حيث قال: « «إلى» لانتهاء الغاية عنـــد الفقهاء والنحاة وغيرهم»(٤).

ومن هنا يتبيَّن لنا أن الأصل الذي وضع له حرف الجر «إلى» هو: انتهاء الغايـــة، سواء أكانت هذه الغاية زمانية، أم مكانية، أم غيرهما، وهذا ما ذكره الإمام البزدوي -

(١) ينظر: التحرير وشرحه التقرير والتحبير فى شرح التحرير، لابن أمير الحاج محمد بن محمد بن محمد، ط (٢)، ١٤٠٣هـــ - ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت (٢/٦٥).

(٢) ينظر: الجني الداني ص(٦٥).

(٣) ينظر: الإتقان (٢/١٩١)، ومعاني الحروف لأبي الحسن علي بن عيسى الرُّمَّاني النحوي، حقّقه وخرج شواهده، وعلّق عليه: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة، ط (٢)، ١٤٠٠هـــ- ١٩٨١م، ص (١١٥)، والجني الداني، ص(٣٨٥)، ومغني اللبيب (٨٨/١)، وارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان: أثير الدين أبو عبد الله بن حيان الأندلس، تحقيق د/مصطفى أحمد النحاس، الطبعة الأولى، مطبعة المدنى، القاهرة سنة ١٩٨٧م (٤٤٩/٢)، والمفصل وشرحه لابن يعيش (٤٩٠/٨)، وشرح الأشموني على الألفية وحاشية الصبان عليه (٣١٧/٢).

(٤) التحرير وشرحه التحبير (٦٣٤/٢).

رحمه الله- حيث قال: «وأما «إلى» فلانتهاء الغاية، لذلك وضعت»[(١)].

وقال الإمام عبد العزيز البخاري -رحمه الله- شارحًا ذلك: «هـذا – أي: دلالة «إلى» على انتهاء الغاية – هو الحقيقة في اللغة»[(٢)].

كذلك قال الإمام السمعاني -رحمه الله-: «فالأصل أنه – أي: حرف الجر «إلى» – لانتهاء الغاية على مقابلة «من»... هذا هو الحقيقة في اللغة وما سواه مجاز»[(٣)].

وهو ما أكده الإمام ابن عقيل -رحمه الله- بقوله: «هـي – يعني: «إلى» – موضوعة لانتهاء الغاية»[(٤)].

ومن جملة ما ذكر، ربما اتجه الأصوليون إلى تحديد معنى «إلى» بالوصول إلى نهاية الغاية من غرض المتكلم، أو بما عبروا عنه بـ«انتهاء الغاية» – هو تأويلهم لما ورد من آيات لها أثر فقهي في القرآن الكريم، واحتياجهم إلى تأصيل الحكم الشرعي من خلال تحديد المعنى.

وقد استدل الأصوليون بدلالة «إلى» على انتهاء الغاية على أحكام شرعية تتعلق أحيانًا بالعبادات؛ مثل: الصيام، وبالمعاملات؛ مثل البيع، وبأحكام الأسرة؛ مثل: الطلاق.

أما المثال الأول، نحو قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ ﴾[(٥)]، فدلت (إلى) هنا على انتهاء الغاية، ومن ذلك المعنى استنبط الحكم بانتهاء وقت الصيام

(١) ينظر: أصول البزدوي على هامش كشف الأسرار، ط (٣)، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، دار الكتاب العربي، بيروت (١/١١٠).
(٢) ينظر: كشف الأسرار (٢/٢٦٤).
(٣) ينظر: قواطع الأدلة في الأصول، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م (١/٤٣).
(٤) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٣/١٧).
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

بدخول الليل، فصيام النهار لو لم تأت الغاية عليه؛ لكان الواجب فيه أن يستمر ليدخل في الليل.

وأما المثال الثاني: نحو قولك: «بعني السيارة بمائة دينار إلى شهر» أي أوفيك ثمنها بعد شهر، فيثبت بهذا القول حكم الوفاء بالمبلغ عند انتهاء الشهر(١).

وفي المثال الثالث: نحو قول الرجل لامرأته: «أنت طالق إلى شهر» فالطلاق لا يقع في الحال؛ لأن الأصل فيه التنجيز لا التأجيل، بل يكون ابتداء الطلاق بعد شهر؛ لدلالة «إلى» على التأخير والتأجيل(٢).

ثانيًا: دلالة «إلى» على ابتداء الغاية:

ومن معاني حرف «إلى» التي ترد وتستعمل ابتداء الغاية، أي أن انتهاء الغاية ليس هو المعنى الوحيد الذي وضعت له «إلى» بل هناك معان واستعمالات أخرى.

وقد مثل ابن هشام لهذا المعنى، بقول الشاعر:

تقولُ وقد عالَيْتُ بالكُورِ فَوْقَها أَيُسْقَى فلا يَرْوَى إليَّ ابنُ أَحْمَرَا(٣)

ومعنى «إلى»: أي مني(٤).

والمقصود من هذا البيت أن ناقة الشاعر تشكو منه؛ حيث جعل الكور عليها قائلة بلسان الحال أيركبني فلا يترك ولا يمل منه على طريق الاستعارة التمثيلية شبهت حالته في ذلك بحال من يسقى من شيء فلا يروى منه(٥).

وربما كانت قلة الاستشهادات هنا لعلماء النحو – دليلًا على أن المعنى الأصلي لـ«إلى» هو انتهاء الغاية؛ لكن من الممكن أن تأتي بمعنى ابتداء الغاية، كما ذكر في

(١) أصول البزدوي (٢/٣٣١، ٣٣٢)، وأصول السرخسي (١/٢٢٠).
(٢) أصول البزدوي (٢/٣٣٢)، وأصول السرخسي (١/٢٢٠).
(٣) البيت لابن أحمر في حروف المعاني، ص (٦٦)، ومغني اللبيب (١/١٠٥).
(٤) ينظر: مغني اللبيب (١/١٠٥).
(٥) ينظر: حاشية الدسوقي على مغني اللبيب (١/١٧٠، ١٧١).

المثال السابق.

وهذا المعنى لـ «إلى» أورده بعض الأصوليين من الجمهور؛ كالإمام الإسنوي[1]، والإمام الزركشي[2]، والإمام ابن اللحام[3] -رحمهم الله-.

ومن علماء الأصول الذين ذكروا هذا المعنى لـ «إلى» الإمام الإسنوي -رحمه الله- حيث يقول: «هذه اللفظة – يعني: «إلى» – قد تكون لابتداء الغاية، كما قال الشيخ – يقصد الإمام الشيرازي -رحمه الله- في المهذب[4]، ومثل له بقولهم: فلان خارج إلى شهر»[5].

وقد وضح الإمام الزركشي -رحمه الله- معنى هذا المثال بقوله: «أي: إن ابتداء خروجه إلى شهر»[6].

كما مثل الإمام ابن اللحام -رحمه الله- لمجيئها لابتداء الغاية بما إذا قال لزوجته: أنت طالق إلى شهر[7]، معولًا في تعليل صحة مجيئها لهذا المعنى على ما ذكره الإمام ابن قدامة -رحمه الله- في المغني[8].

أما السادة الأحناف: فإنهم لم يعبروا بالتعبير الذي أورده البعض من جمهور الأصوليين، بيد أن لهم موافقة لهذا المعنى وإن لم يصرحوا عنها بالعبارة التي سبقت من

(١) ينظر: التمهيد، ص(٢٢٤).
(٢) ينظر: البحر المحيط (٢/٥٦).
(٣) ينظر: القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من الأحكام الفرعية، لابن اللحام علي بن محمد بن عباس، تحقيق: محمد حامد الفقي، ١٣٧٥هـ-١٩٥٦م، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ص(١٤٩).
(٤) ينظر: المهذب في فقه الإمام الشافعي، للشيرازي، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م (٣/٣١).
(٥) ينظر: التمهيد للأسنوي (١/٢٢٤).
(٦) ينظر: البحر المحيط (٢/٥٧).
(٧) ينظر: القواعد والفوائد الأصولية ص (١٤٩).
(٨) ينظر: المغني لابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م (٧/٣٢٥).

أن «إلى» قد تأتي لابتداء الغاية.

وقد بين الإمام علاء الدين البخاري -رحمه الله- هذه الموافقة حيث ذكر أن كلمة «إلى» إذا دخلت في الأزمنة قد تكون للتوقيت، وهو الأصل، وقد تكون للتأجيل والتأخير.

ولعل المقصود من التوقيت، أن يكون الشيء مستقرًّا في الحال، وينتهي بالوقت المذكور، وبدون وجود الغاية، لكان الشيء ثابتًا فيما وراءها؛ كقولك: والبه لا أكلم فلانًا إلى شهر، فذكر الشهر هنا من أجل توقيت اليمين، وبدونه لكانت اليمين مؤبدة، وكذلك قولك: أجرتك هذه الدار إلى شهر.

أما المراد من التأخير والتأجيل، ألا يكون الشيء مستقرًّا في الحال مع وجود ما يوجب ثبوته، ثم يثبت الشيء متى وجدت الغاية، فلولاها لكان ثابتًا في الحال؛ مثل: البيع إلى شهر؛ فالمعنى منه تأخير المطالبة إلى انتهاء الشهر، ولولاه لكانت المطالبة ثابتة في الحال، وبعد الشهر أيضًا ما لم يسقط الدين بالأداء أو الإبراء[1].

وبناء عليه: فإن «إلى» لها أحوال ثلاثة:

الأول: الغاية، وذلك إذا كان صدر الكلام محتملًا لانتهاء الغاية، بأن كان فعلًا قابلًا للامتداد، نحو: «صمت إلى الليل».

والثاني: التأجيل، وذلك إذا لم يكن صدر الكلام محتملًا لانتهاء الغاية، بأن لم يكن قابلًا للامتداد، ولكن يمكن تعليق الجار والمجرور بمحذوف دل عليه الكلام، مثل: «بعت إلى شهر»، ويكون التقدير: بعت مؤجلًا الثمن إلى شهر: لأن صدر الكلام وهو البيع لا يقبل الامتداد، إذ هو الإيجاب والقبول، لكن أمكن تعليق الجار والمجرور بمحذوف دل الكلام عليه، وعلى هذا يثبت البيع وحكمه في الحال. وتكون «إلى»

(١) القواعد والفوائد، ص (١٤٩).

لتأجيل الثمن.

والثالث: التأخير، وذلك إذا لم يصلح لأحد الأمرين السابقين، فتكون «إلى» حينئذ لتأخير الحكم إن احتمله صدر الكلام، كما في قول الرجل لامرأته: «أنت طالق إلى شهر»، وهو لا ينوي تأخيرًا ولا تنجيزًا، فيقع الطلاق عند مضى الشهر.

والفرق بين التأجيل والتأخير: أن التأجيل تثبت فيه العلة والحكم في الحال، وتتأخر المطالبة، أما التأخير: فتثبت فيه العلة حالًا ويتأخر الحكم[1].

ومن هنا يتضح لنا أن استعمال «إلى» في ابتداء الغاية إنما يرد فيما لا نهاية له، مما لا توجد الغاية إلا لأوله، كما في الطلاق، فإن له ابتداء، وليس له انتهاء.

ثالثًا: دلالة «إلى» على المعية:

قد تأتي «إلى» بمعنى «مع»؛ وبهذا قال الكوفيون من النحاة وجماعة من البصريين؛ ولكن اشترطوا لذلك إذا ضممت شيئًا إلى آخر، ومثل لهذا المعنى بقوله تعالى: ﴿ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[2]، وقولهم: الذود إلى الذود إبل، والذود من الثلاثة إلى عشرة، والمعنى: إذا جمع القليل إلى مثله صار كثيرًا[3].

وبتعبير آخر: إذا ضممت الذود إلى الذود، أي: معه، صارت إبلًا، فإن لم يكن ضم لم يكن جمع، بمعنى أن الشيء إذا كان مع الشيء لم تصلح «إلى» مكان «مع» ألا ترى أنك تقول: قدم فلان ومعه مال كثير، ولا تقول في هذا الموضع: قدم فلان وإليه مال

(١) ينظر: التنقيح وشرحه وحاشيته (١/٢١٣-٢١٧)، وحروف المعاني وعَلاَقتها بالحُكْمِ الشرعى، د. دياب عبد الجواد عطا، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص (١٣٧، ١٣٨)، ومحاضرات في أصول الفقه، د. محمود شوكت العدوي، طبعة سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م، ص (٣٩، ٤٠).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٥٢.
(٣) ينظر: مغني اللبيب (١/١٠٤).

كثير، وكذلك تقول: قدم فلان إلى أهله، ولا يقال في هذا الموضع: مع أهله[(١)].

كما مثل أرباب اللغة على مجيء «إلى» بمعنى «مع» بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ﴾[(٢)]، أي مع أموالكم، وبقول الشاعر:

شَدَخَتْ غُرَّةُ السَّوابِقِ فيهمْ　　في وُجوهٍ إلى اللِّمَامِ الْجِعَادِ[(٣)]

والمقصود من البيت أن الشاعر يمدح قومًا، وأراد أنهم مشهورون بالسبق إلى الفضل؛ كشهرة الفرس الذي اتسعت غرته حتى ملأت جبهته، وأن لهم لممًا جعادًا، أي شعرًا مجعدًا، وليس سبطًا ناعمًا؛ لأن سبوطة الشعر صفة غالبة لأهل العجم، والشاهد فيه: إلى اللمام؛ حيث جاءت «إلى» بمعنى «مع» ويدل على ذلك أنه قد روي: مع اللمام[(٤)].

وبذلك يكون قد اتفق جمع كبير من النحاة واللغويين على أن «إلى» تأتي بمعنى المعية، أي المصاحبة والاشتراك في الفعل والمعنى.

وهذا المعنى لـ«إلى» أورده كثير من الأصوليين؛ حيث يرى الشيخ عبد العزيز البخاري -رحمه الله- أن «إلى» في المثل القائل: والذود إلى الذود إبل، ترجع في

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (٨٨/١)، والعدة على إحكام الإحكام، لابن دقيق العيد، تحقيق: على محمد عوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط١، ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١٤٢/١)، ومعاني الحروف، للرماني، ص(١١٥)، معاني القرآن، للفراء، هيئة الكتاب (٢١٨/١)، شرح الكوكب الساطع في نظم جمع الجوامع للسبكي، لجلال الدين السيوطي، مكتبة نزار مصطفى، ط (١)، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩م (٣٤٥/١)، والجنى الداني، ص(٣٨١)، ومغني اللبيب (٨٨/١)، وارتشاف الضرب (٤٥٠/٢).

(٢) سورة النساء، الآية: ٢.

(٣) البيت من الخفيف ليزيد بن مفرغ الحميري في أدب الكاتب، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(١)، ١٩٨٢م، ص(٤٠٩)، الزاهر في معاني كلمات الناس (٢٥٨/٢)، تهذيب اللغة (٣٨/٧).

(٤) ينظر: مصابيح المغاني في حروف المعاني، للخطيب الموزعي، تحقيق: د. عائض بن نافع، دار المنار، ط (١)، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ص(١٠٤) بتصرف، والصحاح (لمم).

التحقيق إلى معنى الانتهاء، حيث يقول: «معنى قولهم: الذود إلى الذود إبل: الذود منضمًّا إلى الذود إبل»(١).

أما قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ﴾(٢)، فقد تناولها الأصوليون بقولهم: إن «إلى» في هذه الآية على أصلها، والمعنى: ولا تأكلوا أموالهم مضافة، أو مضمومة إلى أموالكم، وتكون: «إلى» متعلقة بمقدر يتعدى بها، وقد وقع حالًا(٣).

وقيل: يجوز تعلقها – أي: «إلى»- بالأكل على تضمينه معنى الضم، أو الإضافة، فيكون المعنى: ولا تضموا أموالهم إلى أموالكم(٤)، أو: ولا تضيفوا أموالهم إلى أموالكم(٥).

وهذا يتفق مع ما حققه الإمام علاء الدين البخاري – رحمه الله – حيث قال بعد ذكره للآية الكريمة: «لكنه راجع في التحقيق إلى معنى الانتهاء أيضًا، فإن الأكل في الآية ضمن معنى الضمن، إذ النهي لا يختص بالأكل، فعدى بـ «إلى»، أي: لا تضموها إلى أموالكم في الإنفاق، حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم قلة مبالاة بما لا يحل، وتسوية بينه وبين الحلال، أو المعنى: لا ينته أكل أموالهم إلى أموالكم، فتكون «إلى» صلة فعل الانتهاء»(٦).

---

(١) ينظر: كشف الأسرار، للبخاري (٢/٢٦٥)، وحاشية الأمير على المغني (١/٧٠)، ومجمع الأمثال، لأحمد بن محمد الميداني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي، القاهرة (١/١٣٧).
(٢) سورة النساء، الآية: ٢.
(٣) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت ط(١)، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م (٣/١٦٠)، وروح المعاني للعلامة الألوسي، ط دار الكتب العلمية، بيروت ط (١)، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م (٤/١٨٨)، وتفسير البيضاوي، للبيضاوي، دار الفكر، بيروت (١/٤٩٥).
(٤) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان (٣/١٦٠)، وروح المعاني (٤/١٨٨).
(٥) ينظر: معاني القرآن، للفراء (١/٢١٨).
(٦) ينظر: كشف الأسرار، للبخاري (٢/٢٦٥).

وهو ما حققه الإمام رضي الدين الإستراباذي -رحمه الله- كذلك، حيث قال: «والتحقيق أنها - يعني: «إلى» - بمعنى الانتهاء»[١].

ومن الأمثلة التي ذكرها الأصوليون، والتي تدل على مجيء «إلى» بمعنى «مع»[٢] قوله تعالى: ﴿ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ﴾[٣]. أي: مع المرافق[٤].

لكن هنا من الأصوليين من رد القول بأن «إلى» تأتي بمعنى «مع»، من هؤلاء الإمام أبو بكر بن العربي حيث يقول: «وقد ظن بعضهم أنها تكون بمعنى «مع». وهو غلط بين لا تقتضيه اللغة، ولا تدل عليه الشريعة»[٥].

ويقول الإمام المرداوي -رحمه الله-: «ورده الشيخ تقي الدين»[٦].

وهذا الرأي انفرد به الإمامان أبو بكر بن العربي وابن تيمية، ولسنا معهم في هذا؛ لأن كثيرًا من علماء النحو واللغة - كما ذكرنا - يبرهنون على أن «إلى» تأتي بمعنى المصاحبة والمشاركة في الفعل، أي بمعنى «مع»، وأيضًا مثلنا لكثير من الأصوليين الذين ذهبوا إلى ما ذهب إليه اللغويون في مجيء «إلى» بمعنى «مع».

رابعًا: دلالة «إلى» على الظرفية:

ذكر جماعة من النحويين أن «إلى» تأتي بمعنى «في» للدلالة على الظرفية، ومثلوا لذلك بقول الشاعر:

---

(١) شرح كافية ابن الحاجب (٢٧٤/٤)، وشرح الكوكب الساطع (٣٤٥/١).

(٢) ينظر في هذا المثال: قواطع الأدلة (٤٣/١)، والمنخول من تعليقات الأصول، للغزالي، تحقيق: د. محمد حسن هيتو، طبعة دار الفكر، دمشق، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، ص(١٥٨)، والبحر المحيط، للزركشي (٥٦/٢)، وشرح اللمع (٥٣٧/١)، والعدة (١٣٩/١).

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦.

(٤) ينظر: قواطع الأدلة في الأصول، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م (٤٣/١).

(٥) ينظر: المحصول في أصول الفقه، لأبي بكر بن العربي، تحقيق: حسين علي اليدري، دار البيارق، الأردن، ط (١)، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص(٤٤).

(٦) التحبير (٦٣٥/٢).

فَلاَ تترُكنِّي بالوَعِيـدِ كـأنَّني إلى الناسِ مَطْلِيٌّ بِهِ القارُ أجربُ[١]

والمعنى من البيت: أن الشاعر يتودد إلى سيف الدولة الحمداني بألا يتركه لما يتهدده؛ حتى لا يكون في الناس كالجمل الأجرب الذي جعل عليه القار[٢].

والشاهد فيه: كأنني إلى الناس؛ أي: في الناس.

وقال ابن مالك: ويمكن أن تجيء «إلى» بمعنى «في» كما في قوله تعالى: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[٣]، أي: في يوم القيامة، وقد رد بعض النحاة أن «إلى» تأتي بمعنى الظرفية منهم الشيخ أبو حيان الأندلسي عندما علق على قوله تعالى: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[٤]، فقال: «والظاهر أن «إلى» للغاية، والمعنى: ليحشرنكم منتهين إلى يوم القيامة، وقيل: المعنى: ليجمعنكم في الدنيا يخلقكم قرنًا بعد قرن إلى يوم القيامة... وأبعد من زعم أن «إلى» بمعنى «في» »[٥].

وقال في موضع آخر: «وكل هذه المعاني التي تخالف انتهاء الغاية تأولها المخالف على الغاية»[٦].

كذلك رد ابن عصفور -رحمه الله- كون «إلى» بمعنى «في»، بأنها لو كانت بمعنى «في» لساغ أن يقال: زيد إلى الكوفة، أي: في الكوفة، فلما لم تقله العرب وجب أن يتأول ما خالف ذلك[٧].

---

(١) ينظر: البيت للنابغة الذبياني في ديوانه، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط (٣)، ص(٦)، الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/٣٢)، حروف المعاني ص(٧٩).

(٢) ينظر: حاشية الدسوقي على مغني اللبيب (١/١٧٠).

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٧.

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٧.

(٥) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان (٤/٨٢).

(٦) ينظر: ارتشاف الضرب (٢/٤٥١).

(٧) ينظر: الجنى الداني ص (٦٥).

ولكن الأشهر عند جماعة من النحاة أن «إلى» تأتي بمعنى «في».

وعند علماء الأصول أن «إلى» تأتي بمعنى «في» أورد ذلك الإمامان المرداوي[١]، والفتوحي[٢] - رحمهما الله - ونسبا القول به إلى الحسن، وأبي عبيدة[٣]. كما أورده الإمام السيوطي[٤] -رحمه الله- ونسبه إلى ابن مالك[٥].

ومن أمثلة هذا المجيء: قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَنْ أَنصَارِيَ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[٦].

يقول الإمام المرداوي -رحمه الله-: «قال الحسن وأبو عبيدة: «إلى» في قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَنْ أَنصَارِيَ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[٧] بمعنى «في»، أي: من أعواني في الله، أي: في ذات الله وسبيله»[٨].

ومن أمثلته أيضًا: قوله تعالى: ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾[٩]، أي: فيه[١٠].

وقيل: ضمن «يجمع» معنى الضم، والمعنى: ليضمنكم إلى جزائه[١١]، وقيل: المعنى:

---

(١) ينظر: التحبير (٦٣٥/٢).
(٢) ينظر: شرح الكوكب المنير (٢٤٦/١).
(٣) ينظر: مجاز القرآن، لأبي عبيدة، تحقيق: د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، مصر، د.ت. (٩٤/١).
(٤) ينظر: شرح الكوكب الساطع (٣٤٤/١).
(٥) ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك: أبو عبد الله جمال الدين محمد بن مالك، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي، القاهرة سنة ١٩٦٨م (١٢/٣-١٤).
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٥٢.
(٧) سورة آل عمران، الآية: ٥٢.
(٨) التحبير (٦٣٥/٢)، وشرح الكوكب المنير (٢٤٦/١).
(٩) سورة النساء، الآية: ٨٧.
(١٠) ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (١)، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ص (١٠٣).
(١١) ينظر: حاشية الصبان (٣١٨/٢)، وحاشية الأمير (٧٠/١).

ليجمعنكم في القبور إلى يوم القيامة[(١)].

ونص الإمام المالقي – رحمه الله – على أن مجيء «إلى» بمعنى «في» موقوف على السماع لقلته، كقولك: جلست إلى القوم. أي: فيهم[(٢)].

ومما سبق يمكننا أن نلاحظ تعدد استعمالات حرف «إلى» وكثرة معانيه ومترادفاته، من خلال الشواهد التي استدل بها كل من علماء اللغة والنحو، وعلماء الأصول.

المطلب الثاني: معاني حرف «حتى» وما يرد له من استعمالات والفرق بينه وبين إلى

هذا الحرف يأتي لثلاثة معان وثلاثة استعمالات: أما المعاني: فتكون للغاية، وهو الأغلب عليها، وتكون للتعليل، وتكون للاستثناء، وهو أقلها، وقل من ذكره[(٣)].

وأما الاستعمالات؛ فتستعمل على ثلاثة أوجه: أن تكون جارة، وتكون عاطفة، وتكون ابتدائية.

وإذا كانت «حتى» تفيد الغاية، و«إلى» تدل على الغاية أيضًا؛ إلا أنه لا يمكن القول بالترادف بينهما؛ لذا كان حتمًا علينا أن نوضح الفرق بينهما.

وطبقًا لما ذكرنا آنفًا، فسوف نعرض بالتفصيل لمعاني حتى، واستعمالاتها، والفرق بينها وبين إلى، كما يلي:

---

(١) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان (٨٢/٤)، وتفسير البغوي المعروف بـ«معالم التنزيل»، لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، ط(١)، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م (٨٧/٢)، وروح المعاني (١٠٥/٧).

(٢) ينظر: أدب الكاتب (٣٩٥/١) المخصص، لابن سيده، دار الكتب العلمية، بيروت (٢٣٨/٤).

(٣) ينظر: مغني اللبيب (١٦٦/١).

أولاً: معاني «حتى»:

تدل «حتى» على ثلاثة معانٍ، هي:

المعنى الأول: الغاية:

واستدل النحاة وغيرهم على أن «حتى» تدل على الغاية بالمثال المشهور، نحو قولك: أكلت السمكة حتى رأسها، بجر كلمة: رأسها، فالرأس هو جزؤها الأخير بحسب الخلقة ابتداء من ذنبها(١).

وقد اشترط النحاة لإفادة «حتى» معنى الغاية أن تدخل على الأسماء مثل «إلى»، أي أن ما بعدها حد ونهاية لما قبلها سواء أكان جزءًا، نحو: نمت البارحة حتى الصباح، أم غير جزء، كما في قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝ ﴾(٢).

وقد اتفق الأصوليون على مجيء «حتى» بهذا المعنى، وتكون «حتى» بمنزلة «إلى» الدالة على انتهاء الغاية، وعلامة الغاية: أن يحتمل الصدر الامتداد، وأن يصلح الآخر - وهو ما بعد «حتى» - دليلا على الانتهاء(٣)، كما في قوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾(٤).

فالصدر وهو القتال يحتمل الامتداد، يقال: قاتلته يومًا، أو: يومين أو: شهرًا، والآخر يصلح دليلًا على الانتهاء، فإن إعطاء الجزية أحد ما ينتهي به القتال: لأن المبيح للقتل كفر المحارب لا نفس الكفر، حتى لا تقتل النساء، ولا الرهبان، وقبول الجزية آية

(١) ينظر: حاشية الدسوقي على مغني اللبيب (٢٨٢/١).
(٢) سورة القدر، الآية: ٥.
(٣) أصول البزدوي وكشف الأسرار (٢٤٢/٢)، والجنى الداني، ص (٥٥٤).
(٤) سورة التوبة، الآية: ٢٩.

ترك الحراب، فكان دليلاً على انتهاء القتال[1].

وكقوله تعالى: ﴿ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ ﴾[2]، فـ «حتى» في هذه الآية الكريمة للغاية؛ وذلك لأن الصدر وهو المنع من الصلاة جنبًا ممتد، والاغتسال يصلح منهيًا له[3].

وكقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ ﴾[4]. فالمنع من دخول بيوت الغير هو الصدر، وهو ممتد، والاستئناس وهو الاستئذان يصلح منهيًا له، فكانت «حتى» في هذه الآية الكريمة للغاية[5].

وهذا المعنى – وهو انتهاء الغاية – هو الأصل الذي وضعت من أجله «حتى» كما صرح بذلك غير واحد من الأصوليين[6].

يقول الإمام أبو بكر ابن العربي –رحمه الله-: « «حتى» وهي حرف موضوع للغاية المحضة»[7].

ويقول الإمام السرخسي –رحمه الله-: «وأما «حتى» فهي للغاية باعتبار أصل الوضع بمنزلة «إلى»، وهو المعنى الخاص الذي لأجله وضعت الكلمة»[8].

---

(١) ينظر: شرح التلويح على التوضيح (٢٠٨/١)

(٢) سورة النساء، الاية: ٤٣.

(٣) ينظر: تخريج الفروع على الأصول، لشهاب الدين محمود بن أحمد الزنجاني، تحقيق د/ محمد أديب صالح، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م (٢٨٩) قواطع الأدلة في الأصول (٢٦٤/١) كشف الأسرار(١٣٦/١)

(٤) سورة النور، الآية: ٢٧.

(٥) ينظر: شرح التلويح على التوضيح (٢٠٨/١).

(٦) كالإمام ابن العربي في محصوله، ص(٤٥)، والإمام السرخسي في أصوله (٢١٨/١)، والإمام البزدوي في أصوله (٢٣٨/٢) مع الكشف، والإمام النسفي في كشف الأسرار (٣٢٥/١)، والإمام ملاجيون في نور الأنوار على المنار، لملا جيون: أحمد جيون بن أبي سعيد الحنفي الصديقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (٣٢٥/١) وغيرهم.

(٧) ينظر: المحصول، لابن العربي، ص(٤٥).

(٨) ينظر: أصول السرخسي (٢١٨/١).

كذلك قال الإمام البزدوي -رحمه الله-: «هذه الكلمة - يعني: «حتى» - أصلها للغاية في كلام العرب»[١].

أضف إلى ذلك: أن هذا المعنى هو الغالب عليها في الاستعمال.

يقول الإمام السيوطي -رحمه الله-: « «حتى»: ولها معان: أحدها: انتهاء الغاية، وهو الغالب»[٢].

فمتى كان ما قبلها محتملًا للامتداد، وما بعدها صالحًا للانتهاء به كانت عاملة في حقيقة الغاية، ولا يسقط عنها هذا المعنى إلا مجازًا، كما إذا استعملت للعطف المحض في الأفعال، فإن معنى الغاية حينئذٍ غير مراد، كسائر الحقائق إذا استعملت في غير موضوعاتها[٣].

وقد استدل الأصوليون بدلالة «حتى» على انتهاء الغاية على بعض الأحكام الشرعية، نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾[٤]، وقوله: ﴿ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ ﴾[٥]، وقوله: ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾[٦]، فاستدلوا بدلالتها على تحريم إتيان الحائض إلى وقت الطهارة، ووقت الخروج من السجن، وانتهاء ليلة القدر بوقت طلوع الفجر؛ ولولا «حتى» لاستمرت تلك المغيبات إلى الأبد.

المعنى الثاني: التعليل:

وهو أحد معاني «حتى»، ويسمى أيضًا بالسببية.

---

(١) ينظر: أصول البزدوي (١٠٥).
(٢) ينظر: مغني اللبيب (١/١٠٤) شرح الكوكب المنير (١/٢٣٩).
(٣) ينظر: كشف الأسرار (٢/٢٣٨).
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.
(٥) سورة يوسف، الآية: ٣٥.
(٦) سورة القدر، الآية: ٥.

ذكر النحاة أن شرط إفادة «حتى» التعليل دخولها على الفعل المضارع، ويكون منصوبًا بـ«أن» مضمرة، نحو قولك: سرت حتى أدخلها؛ وذلك بتقدير: حتى أن أدخلها، وتكون «أن» المضمرة والفعل الذي بعدها في تأويل مصدر مخفوض بـ«حتى»، وهذا رأي النحاة الكوفيين؛ حيث لا يجيزون نحو قولك: سرت إلى أدخلها؛ لأنها لا تفيد التعليل، كما تفيده «حتى»؛ والسبب في ذلك على رأيهم أن النصب بعد حتى بـ«أن» مضمرة لا بنفسها؛ حيث ثبت أن «حتى» تخفض الأسماء، وما يعمل في الأسماء لا يعمل في الأفعال، وبالعكس[(١)].

قال ابن هشام الأنصاري: لـ«حتى» الداخلة على المضارع المنصوب ثلاثة معان: مرادفة لـ«إلى»، أي إفادتها الغاية، نحو: ﴿ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾[(٢)]، ومرادفة (كي) التعليلية، نحو: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ﴾[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾[(٤)]، تحتمل هذه الآية الأخيرة معنى الغاية والتعليل معًا[(٥)].

أما الأصوليون فقد صرحوا بأن «حتى» تفيد التعليل أو السببية والمجازاة إذا لم يصلح الصدر للامتداد، ولا الآخر للانتهاء به، أو صلح الصدر للامتداد، ولم يصلح الآخر أن يكون دليلًا على الانتهاء، ليس ذلك فحسب، بل يشترط أن يصلح الصدر سببًا لما بعده، وأن يصلح الآخر جزاءً له، مع عدم صلاحية كونه غاية، حتى لو صلح الآخر غاية مع كون الصدر صالحًا للسببية فإنها تجعل للغاية، كقولك: إن أضربك حتى تصبح فعبدي حر[(٦)].

---

(١) ينظر مغني اللبيب (١/١٦٩).
(٢) سورة طه، الآية: ٩١.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.
(٤) سورة الحجرات، الآية: ٩.
(٥) ينظر مغني اللبيب (١/١٦٩)،. مصابيح المغاني في حروف المعاني، ص(٢٣٣).
(٦) ينظر: كشف الأسرار (٢/٢٤٣).

وعلامتها: أن يصلح في موضعها «كي»، كقولك: أسلم حتى يدخلك الله الجنة، أو: أطع الله حتى يدخلك الجنة(١).

وذكر الإمام علاء الدين البخاري -رحمه الله- أن «حتى» إنما حملت على المجازاة لمناسبة بين المجازاة وبين الغاية: لأن الفعل الذي هو سبب ينتهي بوجود الجزاء عادة، كما ينتهي المغيا بوجود الغاية، فتحمل «حتى» على المجازاة مع قيام معنى الغاية فيها(٢).

أما الإمامان سعد الدين التفتازاني وابن عابدين يريان أن المناسبة بين المجازاة والغاية، تتمثل في أن جزاء الشيء ومسببه يكون مقصودًا منه بمنزلة الغاية من المغيا(٣).

و لم يقف الإمام التفتازاني عند رأيه السابق، بل رد ما قاله الإمام علاء الدين البخاري؛ بأنه إن أريد الإسلام في قولك: أسلمت حتى أدخل الجنة، إحداثه، فهو لا يحتمل الامتداد، وإن أريد الثبات عليه، فدخول الجنة لا يصلح منتهى له، بل الإسلام حينئذ أكثر وأقوى(٤)، على أنه لو صح أن السبب ينتهي بوجود الجزاء والمسبب، كما ينتهي المغيا بوجود الغاية، لكانت «حتى» للغاية حقيقة؛ حيث يحتمل الصدر - وهو السبب - الامتداد، والآخر - وهو المسبب - الانتهاء إليه.

بيد أن الكمال ابن الهمام -رحمه الله- يرى أن ما ذهب إليه البخاري أوجه، وأنه يمكن توجيهه بأن دخول الجنة يصلح منتهى لإسلام الدنيا(٥).

---

(١) ينظر: أصول النحو العربي، دكتور: محمود أحمد نحلة، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط (١)، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م (٢/٤٤) اللمع، ص (٧٩)، المقتضب، للمبرد، تحقيق: د. محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٢هـ (٣٨/٢)، الإنصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لابن الأنباري: أبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن الأنباري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، القاهرة، ١٩٨٧م (٥٩٧/٢).

(٢) ينظر: كشف الأسرار (٢٤٣/٢).

(٣) ينظر: شرح التلويح على التوضيح (٢٠٩/١).

(٤) ينظر: السابق.

(٥) ينظر: كشف الأسرار (٢٤٥/٢).

كذلك وجه الإمام محب الله بن عبد الشكور -رحمه الله- كلام الإمام البخاري بأن مراده بالاشتراك في إنهاء الحكم إنما هو الاشتراك في ظهور تمام الحكم.

وبناء عليه، فما ذكره التفتازاني وابن عابدين يمكن دفعه بأن الرأس في قولك: أكلت السمكة حتى رأسها، غير مقصود، وكذا غيرها مما ليس بمقصد من الغايات[(١)].

المعنى الثالث: الاستثناء:

فقد تأتي «حتى» مرادفة لـ «إلا»، أي تكون بمعنى «إلا أن»، فتكون للاستثناء المنقطع[(٢)].

وهذا المعنى أقل معاني «حتى» استعمالاً، وقل من يذكره[(٣)]. واستشهد النحاة بقول امرئ القيس:

وَاللَّهِ لَا يَذْهَبُ شَيْخِي بَاطِلاً   حَتَّى أُبِيرَ مَالِكاً وَكَاهِلاً[(٤)]

والشاهد فيه: حتى أبير؛ حيث جاءت «حتى» للاستثناء، بمعنى «إلا أن»، ومالك وكاهل: حيان من بني أسد.

فجاءت «حتى» هنا بمعنى الاستثناء؛ لأن ما بعدها ليس غاية لما قبلها، ولا مسببًا عنه.

ومن إفادتها معنى الاستثناء قوله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة؛ حتى يكون

---

(١) ينظر: التحرير وشرحه التيسير (٢/١٠٠)، ومسلم الثبوت وشرحه فواتح الرحموت (١/٢٤١).

(٢) ينظر: التحبير (٢/١٢٧)، والجنى الداني، ص(٥٥٤).

(٣) حتى إن المرادي وصفه بالغرابة، ينظر: جمع الجوامع لابن السبكي ومعه حاشية الشيخ حسن العطار على شرح الجلال المحلى ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١/٣٤٦)، مطبوع مع حاشية البناني، وشرح الكوكب الساطع (١/٣٥٥)، والجنى الداني، ص(٥٥٥)، ومغني اللبيب (١/٢٤١).

(٤) ينظر: الرجز في: ديوانه ص(١٣٤)، والأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٢م (٩/٨٧)، ومغني اللبيب (١/١٤٤).

أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه»[(١)]؛ إذ زمن الميلاد لا يتطاول، فتكون «حتى» فيه للغاية، ولا كونه يولد على الفطرة علة لليهودية والنصرانية، فتكون للتعليل[(٢)] - أي إنها تفيد هنا - في الحديث - الاستثناء بلا شك.

أما الأصوليون، فقد ذكر بعضهم – منهم الإمام الإسنوي – ضابطًا لمجيء «حتى» بمعنى الاستثناء، وهو أن يكون مما لا يتكرر فيه الفعل، كقولك: لأقتلن الكافر حتى يسلم، أي: إلا أن يسلم، بخلاف ما يدل على التكرار؛ كالضرب والسير ونحوهما[(٣)].

ومثل الأصوليون لهذا المجيء بقول المقنع الكندي:

لَيسَ العَطاءُ منَ الفُضُولِ سَماحَةً   حتَّى تَجُودَ وَما لدَيْكَ قلِيلُ[(٤)]

أي: إلا أن تجود[(٥)].

ويمكن جعلها في هذا البيت بمعنى «إلى» كما ذكر الإمام بدر الدين الزركشي - رحمه الله- في تشنيف المسامع[(٦)]. والإمام ولي الدين العراقي في الغيث الهامع[(٧)].

ومن الأمثلة التي ذكرت لمجيء «حتى» لهذا المعنى[(٨)]:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٣/١١) كتاب القدر، باب: الله أعلم بما كانوا عاملين، الحديث (٦٥٩٩)، ومسلم (٢٠٤٨/٤) كتاب القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، الحديث (٢٦٥٨/٢٥).

(٢) ينظر: مغني اللبيب (١٧٠/١).

(٣) ينظر: الكوكب الدري في كيفية تخريج الفروع الفقهية على المسائل النحوية، لجمال الدين الإسنوي، دراسة وتحقيق، عبد الرزاق السعداوي، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٣٩٩هـ-١٩٨٤م، ص(٣٣٠)، وأثر اللغة في اختلاف المجتهدين، عبد الوهاب عبد السلام طويلة، ص (٢٢١).

(٤) ديوان الحماسة (حماسة أبي تمام) برواية الجواليقي - أبو تمام، دار الكتب العلمية بيروت (١٧٣٤/٤)، ومغني اللبيب (١٦٩/١).

(٥) ينظر: تفسير البحر المحيط (٤٤٩/١)، غاية الوصول (٩٥/١).

(٦) (٥٢٢/١).

(٧) (٢١٨/١).

(٨) ينظر في هذه الأمثلة: التحرير وشرحه التيسير (١٠١/٢، ١٠٢)، ومغني اللبيب (١٤٤/١)، والجنى الداني، ص(٥٥٤، ٥٥٥).

أ - قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾[1]. أي: إلا أن يقولا.

ب - ما ذكره ابن هشام الأنصاري -رحمه الله- من أن هذا المعنى ظاهر من قول سيبويه في تفسير قولهم: «والله لا أفعل إلا أن تفعل»: المعنى: حتى تفعل[2].

ويرى الإمام كمال الدين بن الهمام -رحمه الله- أنه لا يلزم الاستثناء بـ«حتى» فيما ورد من أمثلة، وأنها في هذه الأمثلة للغاية أو للسببية[3].

فأما قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ ﴾[4] فتصح «حتى» فيه غاية لنفي عدم التعليم كـ«إلى»[5].

وأما قول المقنع الكندي: «حتى تجود» فهي فيه للغاية أو للسببية، فإن حملناه على الغائية فالمعنى: ليس إعطاء الإنسان من المال الفاضل عن حاجته سماحة حتى يعد المعطي سمحًا جوادًا، فهو لا يزال على عدم الجود إلى أن يجود وليس عنده إلا ما يحتاج إليه.

وإن حملناها على السببية فالتوجيه أن يقال: عدم كون العطاء من الفضول سماحة سبب للجود من القليل: لأن الاتصاف بالجود مطلب الإكرام. فإذا لم يحصل بذلك فلا جرم يتمسك بما يحصل به[6].

وأما قولهم: «والله لا أفعل حتى تفعل» فالمعنى: إلى أن تفعل[7]، ومن الأمثلة التي احتملت أن تكون فيها «حتى» بمعنى «إلى أن»، أو «إلا أن» ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾[8].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.
(٢) ينظر: كتاب سيبويه (٣٤٢/٢).
(٣) ينظر: التقرير والتحبير (٨٢/٢).
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.
(٥) ينظر: تيسير التحرير (١٠١/٢).
(٦) ينظر: التحرير وشرحه التيسير (١٠٢/٢).
(٧) ينظر: كتاب سيبويه (٣٤٢/٢).
(٨) سورة البقرة آية: ٥٥.

٢- قوله تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[١].

٣- قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ ﴾[٢].

٤- قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾[٣].

٥- قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ﴾[٤].

٦- قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾[٥].

٧- قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ﴾[٦].

٨- قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾[٧].

٩- قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ ﴾[٨].

١٠- قوله تعالى: ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ﴾[٩].

١١- قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا ﴾[١٠].

١٢- قوله تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾[١١].

---

(١) سورة البقرة آية: ١٢٠.
(٢) سورة البقرة آية: ١٩١.
(٣) سورة البقرة آية: ٢٢١.
(٤) سورة البقرة آية: ٢٢١.
(٥) سورة البقرة آية: ٢٢٢
(٦) سورة البقرة آية: ٢٣٠.
(٧) سورة النساء آية: ٤٣.
(٨) سورة يوسف آية: ٦٦.
(٩) سورة يوسف آية: ٨٠.
(١٠) سورة القصص آية: ٥٩.
(١١) سورة الأنعام آية: ٦٨.

١٣- قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾[١].

١٤- قوله تعالى: ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾[٢].

ثانيًا: استعمالات حتى:

قد ذكرنا أن «حتى» يراد بها ثلاثة معان، هي:

انتهاء الغاية، والتعليل، والاستثناء، ولا شك أن معنى انتهاء الغاية هو المعنى الذي وضعت له في الأصل؛ ولذلك غلب استعمالها فيه، وقل استعمالها فيما عداه.

وإذا كان لهذه الكلمة معان متعددة تدل عليها، فإن لها أيضًا أوجهًا من الاستعمالات متعددة، فتارة تستعمل جارة، وتارة أخرى عاطفة، وتارة تكون للابتداء[٣].

يقول الإمام كمال الدين بن الهمام -رحمه الله-: « «حتى» جارة، وعاطفة، وابتدائية بعدها جملة بقسميها»[٤].

وسواءً أكانت «حتى» جارة، أم عاطفة، أم ابتدائية فإنها تؤدي معنى الغاية، إما مباشرة، أو من خلال السياق[٥]، إلا إذا استعملت للعطف المحض في الأفعال، فإن معنى الغاية حينئذ غير مراد[٦].

وإليك هذه الاستعمالات بالتفصيل، كما ذكرها علماء اللغة والنحويين:

الاستعمال الأول: أن تكون جارة بمعنى «إلى»، وهو الأصل[٧]، وهي حينئذ إما

---

(١) سورة النساء آية: ١٤٠.

(٢) سورة الشعراء آية: ٢٠١.

(٣) ينظر: مصابيح المغاني، ص(٢٣٣).

(٤) ينظر: التقرير والتحبير (٢/٧٧)، تيسير التحرير (٢/٩٦).

(٥) ينظر: كشف الأسرار (٢/٢٣٨).

(٦) ينظر: كشف الأسرار (٢/٢٣٨).

(٧) ينظر: المقتضب (٢/٣٨)، أصول النحو (١/٣٨٥، ٣٨٦)، أصول البزدوي (١/١٠٥، ١٠٦)، البرهان في أصول الفقه (١/١٤٥).

جارة لاسم صريح، نحو قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾[١]، أو مؤول بالصريح[٢]، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾[٣]، أي: إلى رجوعه[٤].

ويشترط في مجرورها شرطان:

الأول: أن يكون آخر جزء من الشيء، كما في قولك: أكلت السمكة حتى رأسها، أو ما يلاقي آخر جزء منه[٥]، كما في قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾[٦].

فالرأس آخر جزء من السمكة، ومطلع الفجر ملاقٍ آخر جزء من ليلة القدر.

والثاني: أن يكون ظاهرًا لا مضمرًا، فلا يصح أن تقول: «حتاه»[٧].

وقد اعتبر علماء الأصول أن انتهاء الغاية معنى لا يفارق «حتى» في جميع أحوالها، يقول الإمامان تاج الدين السبكي والمحلي: «حتى» لانتهاء الغاية غالبًا، وهي حينئذ إما جارة... وإما عاطفة... وإما ابتدائية[٨].

---

(١) سورة القدر آية: ٥.

(٢) ينظر: المقتضب (٣٨/٢)، أصول النحو (٣٨٥/١، ٣٨٦)، أصول البزدوي (١٠٥/١، ١٠٦)، البرهان في أصول الفقه (١٤٥/١).

(٣) سورة طه آية: ٩١.

(٤) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (٤٧٠/٢).

(٥) ينظر: كشف الأسرار، للنسفي (٣٢٥/١)، وكشف الأسرار، للبخاري (٢٣٨/٢)، وحاشية الرهاوي (٤٧٣/١).

(٦) سورة القدر، الآية: ٥.

(٧) ينظر: كشف الأسرار، للبخاري (٢٣٨/٢).

(٨) ينظر: الإبهاج في شرح المنهاج لشيخ الإسلام، علي بن عبد الكافي السبكي بتحقيق د. شعبان محمد إسماعيل ط. مكتبة الكليات الأزهرية ١٤٠١ - ١٩٨١، القاهرة (١٦١/٢) وما بعدها.

وقال الإمام البناني: أي فكونها لانتهاء الغاية جنس تحته هذه الأنواع الثلاثة[١].

وقال صدر الشريعة، والتفتازاني - رحمهما الله -: « «حتى» للغاية... وقد تجيء للعطف... وتدخل على جملة مبتدأة»[٢]، وفي الكل معنى الغاية»[٣].

وبذلك فإن علماء الأصول يعتبرون أن الاستعمال الأغلب لـ«حتى» هو انتهاء الغاية، وأن الأنواع الثلاثة ما هي إلا تحت جنس معنى انتهاء الغاية.

ومثلوا لذلك بأن «حتى» الجارة للاسم الظاهر الصريح، جاءت جارة للفظ «حين» النكرة في ست آيات من القرآن الكريم، نحو قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ﴾[٦]، وقوله: ﴿ وَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ﴾[٧]، والمعنى المراد من قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ حِينٖ ﴾؛ أي إلى مدة معينة، أي إفادة «حتى» معنى «إلى» التي تدل على انتهاء الغاية.

الاستعمال الثاني: أن تكون عاطفة يتبع ما بعدها ما قبلها في الإعراب[٨].

ولها حينئذ شرطان:

الشرط الأول: أن يكون المعطوف بها جزءاً من المعطوف عليه، كقولك: قدم

---

(٩) ينظر: حاشية البناني (١/٣٤٥).

(١) ينظر: التنقيح (١/٢٠٣).

(٢) ينظر: التوضيح في حلّ غوامض التنقيح لعُبَيْد الله بن مسعود الملقّب بصدر الشّريعة، مطبُوع مع التلويح، تحت إدارة نور محمّد، كراتشي، باكستان، ١٤٠٠هـ (١/٢٠٨).

(٣) سورة يوسف آية: ٣٥.

(٤) سورة المؤمنون آية: ٢٥.

(٥) سورة الصافات آية: ١٧٤.

(٦) سورة الصافات آية: ١٧٨.

(٧) ينظر: أصول النحو (١/٣٨٢)، علل النحو (١/٣١٧)، دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق وتعليق: أ. محمود محمد شاكر، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠م، ص (٢٦٤)، نـزهة الأعين النواظر، ص (٢٤٣)، مغني اللبيب (١/١٠١).

الحجاج حتى المشاة، أو كجزئه، كما في قولك: أعجبتني الفتاة حتى حديثها، فإن حديث الفتاة ليس بعضا منها، ولكنه كالبعض: لأنه معنى من معانيها[١].

ومن هنا يمتنع أن تقول: ضربت القوم حتى حمارًا، وضربت الرجال حتى امرأة، إذ ليس الحمار جزءًا من القوم، ولا هو كالجزء منهم، وكذلك المرأة ليست جزءًا من الرجال، ولا كالجزء منهم.

وسبب ذلك: أن «حتى» للغاية، والدلالة على أحد طرفي الشيء، ولا يتصور أن يكون طرف الشيء من غيره، فلو قلت: «رأيت القوم حتى حمارًا» فقد جعلت الحمار طرفا للقوم ومنقطعًا لهم، وكذا في قولك: رأيت الرجال حتى امرأة، ولهذا كان فيها معنى التعظيم والتحقير؛ لأن الشيء إذا أخذ من أدناه فأعلاه غاية له وطرف، كما في قولك: مات الناس حتى الأنبياء، فالأنبياء غاية جنس الناس، إذا أخذنا من المراتب واستقويناها صاعدين، وإذا أخذ من أعلى الشيء فأدناه غاية له وطرف أيضًا، كقول بعض العرب: «استنت الفصال حتى القرعى»[٢]، فإنك تأخذ من الأقوياء الأصحاء، وتنزل فتنتهي إلى الضعاف المرضى، وهي منقطع الجنس، كما كان الأنبياء منقطعه في الوجه الأول[٣].

---

(١) ينظر: المفصل (٤٠٤)، الجني الداني في حروف المعاني (٩٣/١)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٢٢٥/٣)، البحر المحيط في أصول الفقه (٥٨/٢).

(٢) ينظر: العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط(١)، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م (١٥٥/١)، جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط(١)، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م (٩/١)، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، للشيخ أبي عبيد البكري، تحقيق: د. إحسان عباس، ود. عبد المجيد عابدين، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط الثالثة، ١٩٨٣م (٤٠٢/١)، مجمع الأمثال (٣٣٣/١).

(٣) ينظر: جمهرة اللغة لابن دريد، تحقيق: رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط(١)، ١٩٨٧م (٨٩١/٢) أصول البزدوي (١٠٥/١) كشف الأسرار(٢٤١/٢).

وربما يأتي المعطوف بـ«حتى» مخالفًا لمتبوعه في الجنس، موافقًا له في المعنى، وحينئذ تقدر بعضيته؛ كقول الشاعر:

أَلْقَى الصَّحِيفَةَ كَيْ يُخَفِّفَ رَحْلَهُ وَالزَّادَ حَتَّى نَعْلَهُ أَلْقَاهَا[1]

فالشاهد في البيت: حتى نعله؛ حيث جاءت «نعله» منصوبة عطفًا على الصحيفة، فجاز العطف هنا، وإن كان النعل ليس جزءًا من الصحيفة والزاد، ولا يشبه أجزاءهما؛ لكن قوله: ألقى الصحيفة والزاد، في معنى: ألقى ما يثقله، والنعل يثقله فجاز عطفها؛ وهذا مذهب البصريين من النحاة، فالكوفيين منهم؛ حيث لا يجعلون «حتى» حرف عطف، بل يجعلونها ابتدائية[2].

ولعل مذهب علماء الأصول يقرب من رأي البصريين من النحاة؛ وقد سبق أن ذكرنا آراءهم بأنها تأتي للغاية وللعطف وللابتداء، مما لا داعي هنا للتكرار.

الثاني: أن يكون الحكم مما ينقضي شيئًا فشيئًا حتى ينتهي إلى المعطوف، وذلك بحسب اعتبار المتكلم، لا بحسب الوجود نفسه، إذ قد يجوز أن يتعلق بالمعطوف أولًا، كما في قولك: مات كل أب لي حتى آدم، أو في الوسط، كقولك: مات الناس حتى الأنبياء[3].

(١) البيت من الكامل وهو للمتلمس في ملحق ديوانه، رواية الأثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي، تحقيق: حسن كامل الصيرفين، معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، ص(٣٢٧)، وشرح شواهد المغني، للسيوطي، دار مكتبة الحياة، بيروت (١/٣٧٠)، ولأبي مروان النحوي في خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط (٣)، ١٩٨٩م، مكتبة الخانجي، القاهرة (٣/٢١)، والكتاب لسيبويه (١/٩٧)، ولمروان بن سعيد في معجم الأدباء للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، ١٩٧٩م، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٩/١٤٦).

(٢) ينظر: مصابيح المغاني في حروف المعاني، ص(٢٣٦، ٢٣٧).

(٣) ينظر المفصل، ص (٤٠٤)، نزهة الأعين النواظر، ص (٢٤٣)، الإحكام للآمدي (١/١٠٣)،

وإذا كانت «حتى» عاطفة، بجانب أنها للغاية، فالمناسبة بينهما هي التعاقب[١]، فالمعطوف يعقب المعطوف عليه، وكذا الغاية، فإنها تعقب المغيا، فكانت «حتى» عاطفة مع قيام معنى الغاية فيها[٢]؛ تقول: جاءني القوم حتى زيد، ورأيت القوم حتى زيدًا، فـ«زيد» إما أفضلهم، وإما أرذلهم، فيصلح غاية، أي: جاء القوم حتى أفضلهم، فإنه جاء أيضًا مع أنه لا يتوقع مجيؤه لكونه أفضلهم، أو: حتى أرذلهم، فإنه جاء أيضًا مع أنه لا يتوقع مجيؤه لكونه أرذلهم، ولما كان فيه معنى الغاية كانت حقيقة قاصرة: وهذا لأن زيدا لما كان داخلا في المجيء كان فيه معنى العطف، إذ لو كانت لكمال معنى الغاية لم يكن زيد داخلًا في المعنى؛ لأن حكم ما بعدها بخلاف ما قبلها، ومن حيث إن مجيء القوم ينتهي بمجيئه كان فيه معنى الغاية[٣].

ومثاله أيضًا: قول بعض العرب – السابق ذكره-: «استنت الفصال حتى القرعى» فـ«القرعى» معطوف على الفصال مع قيام معنى الغاية؛ لأنها أرذل من الفصال، لا يتوقع الاستنان منها، فجعل عطفا هو غاية لانتهاء الاستنان باستنانها، فكانت حقيقة قاصرة من حيث إنها لم تخلص للغاية.

الثالث: أن تكون ابتدائية:

أي تكون حرف ابتداء؛ أي يبتدأ بعدها، ومعناها على هذا الاستعمال الغاية، فتدخل على الجملة الاسمية؛ كقول الفرزدق:

إحكام الإحكام، لابن دقيق العيد، مطبعة السنة المحمدية (٤/١٠)، وحاشية نسمات الأسحار لابن عابدين، ١٣٢٨هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ص(١٢٨).

(١) ينظر: همع الهوامع (٢/٤٢٩).

(٢) ينظر: أصول البزدوي (١/١٠٥)، كشف الأسرار (٢/٢٤٠).

(٣) ينظر: علل النحو، ص (٣١٧)، أصول البزدوي (١/١٠٥)، أصول السرخسي (١/٢١٩) أسرار العربية، ص (٢٤١)، كشف الأسرار (٢/٢٤٩).

فَيَا عَجَبا حَتى كُلَيْـــب تَــسُبُّني كأن أباها نَهْــشَلٌ أو مجاشـــعُ[1]

وقول جرير:

فما زَالتِ القَتْلَى تَمُجُّ دِماءَهـــا بِدجْلَةَ حَتَّى ماءُ دِجْلَةَ أَشْـــكَلُ[2]

والشاهد في البيتين: حتى كليبُ، وحتى ماءُ؛ حيث جاءت «حتى» فيهما كحــرف ابتداء، دخلت على الجملة الاسمية؛ ومن ثم أفادت معنى الغاية.

وتدخل على الجملة الفعلية إذا كان فعلها ماضيًا؛ كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ ﴾[3]، أو بتأويل الماضي نحو قوله تعــالى: ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ ﴾[4] على قراءة الرفع[5].

ووجه الرفع: أن يكون الفعل بعدها بمعنى الحال الواقع بالنظر إلى وقت الغاية.

وأما قراءة النصب[6] ففيها وجهان:

الأول: أن تكون «حتى» بمعنى «إلى» أي: حركوا بأنواع البلايا والــشدائد إلى أن يقول الرسول، أي: إلــى الغايــة التي يقول فيها الرسول ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ ﴾[7]؟ أي: بلغ بهم الضجر، ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك؛ ومعناه: طلب النصر وتمنيه، واستطالة زمن الشدة، فعلى هذا لا يكون فعلهم وهو التزلزل سببًا لمقالة

---

(٤) البيت من الطويل وهو في ديوانه (٤١٩/١)، وخزانة الأدب (٤١٤/٥)، والكتاب (١٨/٣).

(١) البيت من الطويل وهو في ديوانه، ص(١٤٣)، والجني الداني، ص(٥٥٢)، ومغني اللبيب (١٢٨/١)، وللأخطل في الحيوان (٣٣٠/٥).

(٢) سورة الأعراف آية: ٩٥.

(٣) سورة البقرة آية: ٢١٤.

(٤) ينظر: مصابيح المغاني في حروف المعاني، ص (٢٣٤، ٢٣٥).

(٥) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢٨٨/١).

(٦) سورة البقرة آية: ٢١٤.

الرسول، بل ينتهي فعلهم عند مقالة الرسول.

والثاني: أن تكون «حتى» في هذه الآية الكريمة بمعنى لام «كي»، أي: وزلزلوا لكي يقول الرسول، فعلى هذا يكون فعلهم سببا لمقالة الرسول، ومقالة الرسول تصلح جزاءً لفعلهم، وهذا لا يوجب إنهاء فعلهم بمقالة الرسول، بل يكون داعيًا إليه[(١)].

ولهذا سار علماء الأصول مع النحاة في أن «حتى» تستعمل بمعنى الابتداء، ومعنى الابتداء عندهم أي بعدها كلام مستأنف لا يتعلق من حيث الإعراب بما قبلها، وحينئذ فالواقع بعدها إما جملة اسمية، أو فعلية[(٢)]؛ فإن كان جملة اسمية فلا بد من ذكر الخبر صريحًا، أو تقديرًا[(٣)]، فالأول؛ كقولك: ضربت القوم حتى زيد غضبان[(٤)].

ومنه قول امرئ القيس:

مَطَوْتُ بهم حتَّى تَكِلَّ مَطِيُّهمْ وحتَّى الجيادُ ما يُقَدنَ بأرْسَانِ[(٥)]

فـ «حتى» في هذا البيت ابتدائية، لكون ما بعدها مرفوعًا، فيكون هو المبتدأ، وخبره جملة «ما يقدن بأرسان».

أما إذا دخلت «حتى» على الأفعال، فهي في رأي الأصوليين؛ إما أن تكون غائية، وهو الأصل، فيحمل عليه ما أمكن، وإما أن تكون للمجازاة والسببية[(٦)]، وإلا فهي للعطف المحض، وحينئذ فلا دلالة فيها على غائية، ولا على مجازة وسببية[(٧)].

وقد مثل الإمام السرخسي -رحمه الله- لمجيئها للعطف المحض بقوله تعالى:

---

(١) ينظر: أصول البزدوي (١/١٠٤).
(٢) ينظر: تيسير التحرير (٢/٩٦).
(٣) ينظر: التنقيح وشرحه وحاشيته (١/٢٠٣، ٢٠٨، ٢٠٩).
(٤) أصول البزدوي مع الكشف (٢/٢٤٢).
(٥) ديوان امرئ القيس، ص (٩٣).
(٦) ينظر: أصول البزدوي (١/١٠٦)، التوضيح في حل عوامض التنقيح (١/٢١٠).
(٧) ينظر: أصول البزدوي (١/١٠٦)، التوضيح في حل عوامض التنقيح (١/٢١٠).

﴿ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ ﴾(١)، فقال: «والقراءة بالرفع تكون بمعنى العطف، أي: ويقول الرسول»(٢).

بينما ذكر النسفي -رحمه الله- أن استعارتها للعطف المحض ليس لها ذكر في كتاب الله تعالى(٣).

وقد أكد الجلال السيوطي - رحمه الله - هذا فقال: «وترد - يعني: «حتى» - عاطفة، ولا أعلمه في القرآن: لأن العطف بها قليل جدًّا، ومن ثم أنكره الكوفيون ألبتة»(٤).

ولذلك ذكر صدر الشريعة أن هذا ليس له نظير في كلام العرب، بل أخبر عنه الفقهاء على سبيل الاستعارة.

ثالثًا: الفرق بين «حتى» و«إلى»:

من المعلوم – حسب ما ذكرنا- أن «حتى» في دلالتها على الغاية شبية بـ«إلى» الموضوعة في الأصل لانتهاء الغاية، وربما اعتقد البعض بلك أنهما مترادفان؛ إلا أن الأمر ليس كذلك؛ إذ بينهما فروقًا ذكرها بعض الأصوليين، هي كالتالي:

الفرق الأول: أن الغاية في «حتى» يجب أن تكون شيئا ينتهي به المذكور أو عنده(٥).

وبعبارة أخرى: يشترط في الغاية الواقعة بعد «حتى» أن تكون آخر جزء من الشيء، أو ما يلاقي آخر جزء منه(٦)، نحو قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾(٧). فمطلع الفجر وإن لم يكن جزءا أخيرا من الليل إلا أنه ملاقٍ آخر جزء

---

(٨) سورة البقرة آية: ٢١٤.
(٩) ينظر: أصول السرخسي (١/٢١٩).
(١) الإتقان في علوم القرآن (٢/٢٢٨).
(٢) الإتقان في علوم القرآن (٢/٤٧١).
(٣) ينظر: كشف الأسرار، للبخاري (٢/٢٣٨).
(٤) ينظر: كشف الأسرار، للنسفي (١/٣٢٥).
(٥) سورة القدر آية: ٥.

منه، ونحو قولك: أكلت السمكة حتى رأسها، ونمت البارحة حتى الصباح، فالرأس آخر جزء من السمكة، والصباح ملاق آخر جزء من البارحة، ولا يصح أن تقول: أكلت السمكة حتى نصفها أو ثلثها، ولا: نمت البارحة حتى نصفها، أو ثلثها، فإن النصف أو الثلث لم تنته به السمكة ولا البارحة، كما أنهما لم تنتهيا عنده.

أما إلى، فلا يشترط في مجرورها أن يكون شيئًا منها ينتهي به المذكور أو عنده؛ فيصح أن تقول: أكلت السمكة إلى نصفها، ونمت البارحة إلى نصف الليل، ونحو قوله: ﴿ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ﴾[(١)]، فالمرافق ليست بآخر جزء من الأيدي، ولا هي بملاقية للجزء الآخر؛ إذ اليد من رؤوس الأصابع إلى المنكب.

والفرق الثاني الذي ذكره علماء الأصول: أنه يشترط في «حتى» أن تدخل على ظاهر، ولا يصح دخولها على المضمر بخلاف «إلى» فإنها تدخل على المظهر والمضمر جميعًا، فصح أن تقول: «إليه»، ولم يصح: «حتاه»[(٢)].

وقد بين الشيخ عبد العزيز البخاري -رحمه الله- أن السبب في عدم جواز دخول «حتى» على المضمر أنه لما وجب أن تكون الغاية بعدها آخر جزء من الشيء أو ما يلاقي آخر جزء منه، والمضمر لا يمكن أن يكون جزءًا من الشيء، بل هو نفسه، امتنع دخولها على المضمر، ولما لم يشترط ذلك في «إلى» لم يمتنع دخولها عليه[(٣)].

وأما الفرق الثالث الذي ذكره علماء الأصول فهو: أن «حتى» لا تستعمل في مقابلة «من» التي هي لابتداء الغاية، بخلاف «إلى» فإنها تستعمل في مقابلة «من» التي هي لابتداء الغاية، ومن ثم صح أن يقال: خرجت من البصرة إلى الكوفة، ولم يصح: خرجت من البصرة حتى الكوفة والسبب في ذلك: هو قوة دلالة «إلى» على انتهاء الغاية وضعف «حتى» عنها في دلالتها عليها – وإن كانت موضوعة في الأصل لانتهاء

---

(١) سورة المائدة آية: ٦.

(٢) ينظر: الأصول في النحو (٤٢٦/١)، مغني اللبيب (١٦٧/١)، البحر المحيط في أصول الفقه (٥٥/٢)، كشف الأسرار، للبخاري (٢٣٨/٢).

(٣) ينظر: كشف الأسرار، للبخاري (٢٣٨/٢)، والإقليد (١٦٨٣/٤).

(٤) ينظر: كشف الأسرار، للبخاري، (٢٣٨/٢، ٢٣٩)، والإتقان (٢٢٦/٢)، والمتبع في شرح اللمع (٣٨١/١)، ومغني اللبيب وحاشية الدسوقي عليه (٣٣٩/١، ٣٤٠).

الغاية – بسبب كثرة استعمالاتها، وخروجها إلى غيرها من المعاني[١].

ومن هنا يتضح لنا أن «حتى» وإن كانت في دلالتها على الغاية بمعنى «إلى» إلا أنه لا يمكن القول بالترادف بينهما: لما ثبت من الفرق المانع منه بين هذين الحرفين[٢].

المبحث الثالث

الحروف الموضوعة لغير الغاية مع إفادتها معنى الغاية

هناك حروف يرد في بعض استعمالاتها معنى الغاية؛ لكنها لم توضع أصالة لهذا لمعنى، من هذه الحروف: «من»، «أو»، «اللام»، «مذ»، «منذ»، «لدن»، «الباء»، وغيرها.

وهذه الحروف منها ما يستعمل لانتهاء الغاية، فتكون بمعنى «إلى»، وهي: «أو»، «اللام»، «الباء»، «على»، «في»، «الفاء»، «إلا».

ومنها ما يستعمل لابتداء الغاية؛ مثل: «من»، «مذ»، «منذ»، «لدن».

ومنها ما يستعمل لابتداء الغاية أو انتهائها أو ابتدائها وانتهائها معًا؛ مثل: «من».

ونظرًا لكثرة الشواهد لكل هذه الحروف، فقد آثرنا أن نأخذ حرفًا واحدًا منها؛ دفعًا للإطناب والملل، وهو حرف «من»، وبيان ذلك ما يلي:

حرف «من» بالكسر من حروف الجر التي تدخل على الأسماء، وقد اختلف النحاة واللغويون في عدد الوجوه والمعاني التي تأتي لها، ذكر ابن هشام الأنصاري أنها تأتي على خمسة عشر وجهًا؛ هي: ابتداء الغاية، التبعيض، بيان الجنس، التعليل، البدل، مرادفة «عن»، مرادفة الباء، مرادفة في، موافقة «عند»، مرادفة «ربما»، مرادفة «على»، الفصل والتمييز، الغاية، التنصيص على العموم، توكيد العموم[٣].

---

(٥) ينظر: مصابيح المغاني، ص(٢٣٢).

(١) ينظر: مغني اللبيب (٤٢٥/١)

أما ابن نور الدين اللغوي، فقد زاد في كتابه «مصابيح المغاني في حروف المعـاني» وجهًا، وهو أنها تدل على القسم[١].

هذه هي المعاني التي يرد لها حرف «من» جملة، أما على التفصيل، فسوف نكتفـي بثلاثة وجوه فقط، هما ابتداء الغاية، انتهاء الغاية؛ وابتداؤها ونهايتها معًا، وبيان ذلـك كما يلي:

أولاً: دلالة «من» على ابتداء الغاية:

مجيء «من» على هذا الوجه، هو الغالب عليها؛ حتى إن جماعة ادعـوا أن سـائر معانيها ترجع إليه[٢].

وهي تأتي لابتداء الغاية في المكان، وقد اتفق الأصوليون وكذلك النحاة علـى أن «من» تستعمل في ابتداء الغاية المكانية، ولم يخالف في ذلك[٣].

---

(٢) مصابيح المغاني في حروف المعاني، ص (٤٥٦ - ٤٦٥).

(١) ينظر: مغني اللبيب (٤١٩/١).

(٢) ينظر: بذل النظر في الأصول، تأليف: محمد بن عبد الحميد الأسمندي، تحقيق: د. محمد زكي عبد البر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص (٤٥)، وفواتح الرحموت (٢٤٤/١)، مطبوع مع شرحه فواتح الرحموت وجامع الأسرار (٤٦٤/٢)، وإحكام الفصول فى أحكام الأصول، أبو الوليد الباجى، تحقيق: عبد المجيد تركى، ط١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان (١٨١/١)، والإحكام للآمدي (٥٥/١)، والمحصول في علم الأصول، الرازي (٣٧٧/١)، والتلخيص (٢٢٣/١)، والإبهاج (٨٩٥/٣)، ونهاية الوصول (٤٣٢/٢)، وشرح المحلى على جمع الجوامع (٣٦٢/١)، وشرح الكوكب الساطع (٣٨٥/١) وشرح البدخشي، ومعه شرح الأسنوي، على شرح منهاج الوصول في علم الأصول، البدخشي، محمد بن الحسن، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٤م (٤٠٣/١)، وتيسير الوصول إلى منهاج الأصول لابن إمام الكاملية، ت: أ. د/عبد الفتاح أحمد الدخميسي، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط الأولى، سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م (٦٦/٣، ٦٧)، والتحبير (٦٧٢/٢، ٦٢٨)، وشرح الكوكب المنير (٢٤١/١)، والجني الداني، ص(٣٠٨)، ورصف المبانى فى شرح حروف المعاني، المالقي: أحمد بن عبد النور، تحقيق أحمد محمد الخراط، دمشق سنة ١٩٧٥م، ص (٣٢٢)، ومعاني الحروف، للرماني ص(٩٧)، ومغني اللبيب (٣٤٩/١)، والمفصل وشرحه الإقليد (١٦٧٦/٤)، واللمع وشرحه البيان ص(٢٤٤)، وارتشاف الضرب (٤٤١/٢)، وشرح الأشموني (٣١٣/٢)، وتصريح الأزهري وتوضيح ابن هشام (٦٣٨/١).

يقول الإمام المرداوي -رحمه الله-: « و«من» لابتداء الغاية، هذا غالب معانيها، ففي المكان اتفاقًا»[1].

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾[2]، فإن بداية الإسراء برسول الله ﷺ كانت من المسجد الحرام بمكة، وهو مكان معروف، ومنه أيضًا: قول القائل: سرت من الدار إلى المسجد[3]. فإن قوله: «من الدار» مؤذن بأن الدار مبتدأ السير ومنشؤه؛ وكقول القائل: سرت من الكوفة إلى البصرة أي: ابتدأت السير من الكوفة، وانتهيت إلى البصرة[4].

وتأتي أيضًا «من» لابتداء الغاية في الزمان؛ وبهذا قال الكوفيون والأخفش والمبرد وابن درستويه؛ أي أن النحاة اختلفوا في مجيئها لابتداء الغاية الزمانية على قولين.

وقد أورد الأصوليون في كتبهم هذا الخلاف[5] وحكوا فيه قولين:

القول الأول: جواز استعمال «من» في ابتداء الغاية الزمانية؛ وهو قول الأصوليين[6]، والكوفيين من النحويين[7]، ووافقهم الأخفش، والمبرد، وابن درستويه،

---

(٣) ينظر: التحرير وشرحه التحبير (٢/٦٢٧، ٦٢٨).

(١) سورة الإسراء آية: ١.

(٢) ينظر: المحصول (١/٥٣٠)، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٩م (١/٤٣٠)، البحر المحيط في أصول الفقه (٢/٣٧).

(٣) ينظر: المحصول (١/٥٣٠)، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب (١/٤٣٠)، البحر المحيط في أصول الفقه (٢/٣٧).

(٤) ينظر: المحصول (١/٥٣٠)، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب (١/٤٣٠)، البحر المحيط في أصول الفقه (٢/٣٧).

(٥) ينظر: البرهان، للجويني (١/١٤٤)، والإبهاج (٣/٨٩٥)، والبحر المحيط، للزركشي (٢/٣٥، ٣٦)، وشرح الكوكب الساطع (١/٣٨٥)، وتشنيف المسامع (١/٥٦٢)، وشرح المحلى على جمع الجوامع (١/٣٦٢)، وغاية الوصول، ص(٦١).

(٦) ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، لعبد اللطيف الزبيدي، تحقيق: د. طارق الجنابي، طبعة عالم الكتب، بيروت، ومكتبة النهضة العربية، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ص(١٤٢)،

من البصريين[١]، وصححه ابن مالك وأبو حيان.

يقول الإمام الجويني -رحمه الله-: و«من» تدخل على الزمان والمكان، تقول: من مكة إلى المدينة، ومن الجمعة إلى الجمعة»[٢].

ويقول الإمام السيوطي -رحمه الله-: « «من» أحد حروف الجر، ولها معان: أشهرها: ابتداء الغاية، مكانًا، وزمانًا، وغيرهما»[٣].

وقد جاء الكتاب والسنة الصحيحة، وكذا من الأشعار الفصيحة مؤيدة لهذا القول.

أولا الكتاب:

ومن الآيات التي استشهد بها أهل العلم ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾[٤].

٢- قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾[٥].

٣- قوله تعالى: ﴿ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ ﴾[٦].

فـ «أول يوم»، و«الليل»، و«يوم الجمعة» كلها أزمنة، وقد سبقتها «من» التي

ومغني اللبيب (٣٤٩/١)، والجنى الداني، ص(٣٠٨)، ورصف المباني، ص(٣٢١)، وشرح الأشموني (٣١٣/٢)، وارتشاف الضرب (٤٤١/٢)، وشرح المفصل، لابن يعيش (٤٨٥/٨)، وشرح كافية ابن الحاجب للاستراباذي (٢٦٧/٤)، والمساعد، ابن عقيل، تحقيق: د/ محمد كامل بركات، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٠هـ (٢٤٦/٢)، وأثر اللغة في اختلاف المجتهدين، ص(٢٢٢).

(١) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف (٣٧٠/١، ٣٧١)، الجنى الداني في حروف المعاني (٥٣/١).

(٢) ينظر: البرهان في أصول الفقه (١٤٤/١).

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (٥١٧/٢).

(٤) سورة التوبة آية: ١٠٨.

(٥) سورة الإسراء آية: ٧٩.

(٦) سورة الجمعة آية: ٩.

هي لابتداء الغاية(١).

٤- قوله تعالى: ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾(٢).

فـ«قبل»، و«بعد» ظرفا زمان، وقد دخلت عليهما «من» وهي لابتداء الغاية(٣).

ثانيًا: السنة النبوية:

احتجوا من السنة على مدعاهم بما يلي:

١- قوله ﷺ: «إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِي أَجَلِ مَنْ خَلا مِنَ الأُمَمِ مَا بَيْنَ صَلاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، وَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَّالا، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ صَلاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ؟ أَلا فَأَنْتُمُ الَّذِينَ تَعْمَلُونَ مِنْ صَلاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، أَلا لَكُمُ الأَجْرُ مَرَّتَيْنِ، فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، فَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلا وَأَقَلُّ عَطَاءً، قَالَ اللَّهُ وَهَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا؟ قَالُوا: لا، قَالَ: فَإِنَّهُ فَضْلِي أُعْطِيهِ مَنْ شِئْتُ»(٤).

فقد استعمل النبي ﷺ «من» في هذا الحديث لابتداء الغاية الزمانية ثلاث مرات(٥).

٢- قول السيدة عائشة -رضي الله عنها- في حديث الإفك: «...فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى

---

(٧) ينظر: كتاب سيبويه (٤/٢٢٦)، المقتضب (٣/٣١)، الأصول في النحو (١/٤١١).

(٨) سورة الروم آية: ٤.

(٩) ينظر: كتاب سيبويه (٤/٢٢٦)، المقتضب (٣/٣١)، الأصول في النحو (١/٤١١).

(١) أخرجه البخاري (٦/٤٩٥، ٤٩٦)، في الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل (٣٤٥٩).

(٢) ينظر: شرح التسهيل لابن عقيل (المساعد على تسهيل الفوائد)، تحقيق وتعليق: محمد كامل بركات، بيروت (٣/٤).

ذَلِكَ[١]، دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ ، قَالَتْ وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ مَا قِيلَ قَبْلَهَا وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لاَ يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي»[٢].

فقد دخلت «من» في هذا الحديث على «يوم»، وهو زمان، فدلت على ابتداء الغاية الزمانية[٣].

٣- ما روي عن أنس رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: هلكت المواشي، وتقطعت السبل، فدعا، فمطرنا من الجمعة إلى الجمعة...»[٤].

فقد جاءت «من» في هذا الحديث لابتداء الغاية الزمانية، وفي مقابلتها «إلى» الدالة على انتهاء الغاية الزمانية.

٤- ما روي عن أنس رضي الله عنه - أيضًا - أنه قال: «إن خياطًا دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه، قال أنس: فذهبت مع رسول الله إلى ذلك الطَّعَامِ فَقَرَّبَ إلى رسول اللَّه ﷺ خُبْزًا وَمَرَقًا فيه دُبَّاءٌ وَقَدِيدٌ فَرَأَيْتُ النبي ﷺ يَتَتَبَّعُ الدُّبَّاءَ من حَوَالَيْ الْقَصْعَةِ قال فلم أَزَلْ أُحِبُّ الدُّبَّاءَ من يَوْمِئِذٍ»[٥].

فقد دلت «من» في قول أنس رضي الله عنه: «من يومئذ» على ابتداء الغاية الزمانية.

---

(٣) أي: هي وأبواها وامرأة من الأنصار -رضي الله عنهم- جلوس.
(٤) أخرجه البخارى (٢١٨/٥) كتاب الهبة، باب: هبة المرأة لغير زوجها، الحديث (٢٥٩٣)، ومسلم (٢١٣٠/٤) كتاب التوبة، باب: في حديث الإفك، الحديث (٢٧٧٠/٥٦).

(١) ينظر: شرح التسهيل (٤/٣).
(٢) أخرجه البخاري (٥٨٩/٢)، في كتاب الاستسقاء، باب: الاستسقاء في خطبة الجمعة (١٠١٤)، ومسلم (٦١٢/٢)، في صلاة الاستسقاء، باب: الدعاء في الاستسقاء (٨٩٧/٨).
(٣) أخرجه مالك (٥٤٦/٢) كتاب النكاح، باب: ما جاء في الوليمة، رقم (٥١)، والبخاري (٤٣٥/٩) كتاب الأطعمة، باب: من تتبع حوالي القصعة مع صاحبه إذا لم يعرف منه كراهية، رقم (٥٣٧٩)، ومسلم (١٦١٥/٣) كتاب الأشربة، باب: جواز أكل المرق، واستحباب أكل اليقطين، وإيثار أهل المائدة بعضهم بعضاً، وإن كانوا ضيفاناً إذا لم يكره ذلك صاحب الطعام، رقم (١٤٤، ١٤٥، ٢٠٤١/١٤٥).

وأما المنقول عن العرب الفصحاء نظمًا ونثرًا فكثير، منه:

١- قول النابغة الذبياني يصف السيوف:

تُوُرِّثْنَ من أَزْمانِ يَوْمِ حَلِيمــةٍ ... إلى اليَوْمِ قد جُرِّبْنَ كُلَّ التَّجارِبِ[١]

والشاهد في هذا البيت قوله: «من أزمان»، حيث جاءت «من» لابتداء الغاية في الزمان[٢].

٢- قول الراجز:

تَنْتَهِضُ الرِّعْدَةُ في ظُهَيْري ... مِنْ لَدُنِ الظُّهْرِ إلى العُصَيْرِ[٣]

٣- قول الأخفش: من العرب من يقول: لم أره من يوم كذا[٤].

٤- قول بعض العرب: من الآن إلى غد[٥].

القول الثاني: امتناع استعمال «من» في ابتداء الغاية الزمانية: وهو قول جمهور البصريين، وسيبويه؛ حيث قال: «وأما «من» فتكون لابتداء الغاية في الأماكن.. وأما «مذ» تكون ابتداء غاية الأيام والأحيان.. ولا تدخل واحدة منهما على صاحبتها»[٦].

ورغم أن كلام سيبويه هذا يمنع استعمال «من» في ابتداء الزمان، كما يمنع استعمال «مذ» في ابتداء غاية الكلام؛ إلا أنه له معارض من كلامه يدل على جواز

---

(٤) البيت من الطويل وهو في ديوانه ص(٤٥)، وخزانة الأدب (٣/٣٣١).

(١) تصريح الأزهري (١/٦٣٨)، وائتلاف النصرة، ص(١٤٢).
(٢) الرجز لرجل من طيئ في المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية، لمحمود بن أحمد العيني، دار صادر، بيروت (٣/٤٢٩).
(٣) ينظر: الإبهاج في شرح المنهاج (١/٤٦٨).
(٤) ينظر: كتاب سيبويه (٢/٤٠٠).
(٥) ينظر: كتاب سيبويه (٤/٢٢٤، ٢٢٦).

دخول «من» على الزمان؛ إذ ورد في «باب ما يضمر فيه الفعل المستعمل إظهاره بعد حرف» شاهد يدل على ذلك؛ حيث قال: «ومن ذلك قول العرب: من لد شولاً فإلى إتلائها[١] نصب - يعني شولاً-: لأنه أراد زمانا، والشول لا تكون زمانًا».

ثم أكمل كلامه قائلاً: «فلما أراد الزمان حمل الشول على شيء يحسن أن يكون زمانًا إذا عمل في الشول... كأنك قلت: من لَدُ أَنْ كانتْ شَوْلاً فإلى إتلائها»[٢].

وفي هذا القول تصريح بمجيء «من» لابتداء غاية الزمان، وهذا إن دل، فإنما يدل على أن رأيه في النقل الأول غير مطرد في المسألة.

ولما كثرت النصوص التي وردت فيها «من» لابتداء الغاية الزمانية ارتاب الفارسي -رحمه الله- وقال: «ينبغي أن ينظر فيما جاء من هذا، فإن كثر فليس عليه، وإلا تؤول»[٣].

ومن ثم ذهب البصريون إلى تأويل النصوص الواردة في القرآن الكريم وكلام العرب؛ حيث أولوا قوله تعالى: ﴿ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾[٤]، وقول أنس في الحديث: فمطرنا من الجمعة إلى الجمعة، وقول النابغة: من أزمان يوم حليمة، على تقدير حذف مضاف؛ حتى يستقيم لهم رأيهم.

ولذلك ذهب الزركشي من علماء الأصول إلى الجمع بين القولين فقال: «وذكر الشيخ عز الدين. أنها يعني - «من» – حقيقة في ابتداء غاية الأمكنة، ويتجوز بها عن

---

(٦) هذا البيت من الرجز المشطر، وهو في الكتاب (٢٦٤/١)، والمحكم والمحيط الأعظم (١٢١/٨)، خزانة الأدب (٢٣/٣).

(١) ينظر: كتاب سيبويه (٢٦٤/١، ٢٦٥).
(٢) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه (٣٥/٢).
(٣) سورة التوبة آية: ١٨.

ابتداء الأزمنة، وهو حسن يجمع به بين القولين»[1].

ولا شك أن الأصوليين يعتبرون أن أساس حروف غاية الابتداء هو «مــن»؛ إذ إن قوله تعالى: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ ... ﴾ يدل على بداية الإسراء من المسجد الحرام بمكة، وأيضًا استدلوا من النصوص الشرعية على أنها تأتي لابتداء الغاية الزمانية؛ مــن ذلك قولــه تعــالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ ﴾[2] فالليل زمان صالح للتهجد، وقوله: ﴿ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ ﴾[3] أي من زمان الجمعة، وفي ذلك دليــل على ترك البيع والتجارة من حين دخول زمن صلاة الجمعة.

ومعنى ذلك أن علماء الأصول لم يتأثروا بالخلاف الواقع بين النحاة واللغــويين في دلالة «من» على ابتداء الزمان.

ثانيًا: دلالة «من» على انتهاء الغاية:

إذا كان الغالب على «من» أن تأتي لابتداء الغاية؛ فإنها قد تستعمل في الدلالة على انتهائها؛ وعندئذ تصير في المعنى كـ«إلى»؛ نحو قولك: قربــت منــه، أي: إليــه[4]، وكقول القائل: شممت الريحان من داري من الطريق. أي: إلى الطريق، فابتداء الــشم من الدار، وانتهاؤه إلى الطريق[5]، وكقول القائل: رأيت الهلال من داري مــن خلــل السحاب، فـ«من» الأولى لابتداء الغاية، والثانية لانتهائها[6]، وعليه فالمعنى: رأيــت

---

(٤) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه (٣٦/٢).
(٥) سورة الإسراء آية: ٧٩.

(١) سورة الجمعة آية: ٩.
(٢) ينظر: غاية الوصول (١٠٦) حاشية العطار على جمع الجوامع (٤٥٩/١).
(٣) ينظر: البرهان، للزركشي (٤١٦/٤)، وشرح جمل الزجاجي، ابن عصفور: أبو الحسن علي بن مؤمن، «الشرح الكبير»، تحقيق د/ صاحب أبو جناح، الموصل، العراق، سنة ١٩٨٠م (٥٠٨/١).
(٤) ينظر: الجنى الداني، ص(٣١٢)، وارتشاف الضرب (٤٤٢/٢)، وشرح المفصل، لابن يعيش (٤٨٨/٨).

الهلال من مكاني إلى خلل السحاب. فابتداء الرؤية وقع من الدار، وانتهاؤها في خلل السحاب، وتكون «من» لابتداء الغاية من الفاعل، ولانتهاء غاية الفعل من المفعول[1].

وقد أشار سيبويه -رحمه الله- إلى هذا المعنى فقال: «وتقول: رأيته من ذلك الموضع فجعلته غاية رؤيتك، كما جعلته غاية حيث أردت الابتداء والمنتهى»[2].

وفي هذا إشارة إلى أن انتهاء الغاية معنى من معاني «من».

وقد وجه بعض النحاة توجيهات ثلاثة حول تعلق «من» في المثالين السابقين؛ إذ نفوا أنها للانتهاء، ولكنها للابتداء، جريًا على الأصل؛ وذلك على النحو التالي:

أولها: أن «من» الأولى لابتداء الغاية في حق الفاعل، والثانية لابتدائها في حق المفعول[3]، إذ إن ابتداء وقوع رؤية الهلال من الفاعل إنما كان في داره، وابتداء وقوع الرؤية بالهلال إنما كان في خلل السحاب: لأن الرؤية إنما وقعت بالهلال وهو في خلل السحاب، وكذلك ابتداء وقوع الشم إنما كان من الدار، وابتداء وقوعه بالريحان إنما كان من الطريق؛ لأن الشم إنما يسلط على الريحان وهو في الطريق.

والثالث يقرب من توجيه بعض الأصوليين لمسألة شبيهة بالمثال المذكور، وهي تعدد الغاية واتحاد المغيا، نحو قولك: «لا تجامع حتى ينقطع عنها حيضها وتغتسل»، فاعتبروا الغاية الحقيقية في هذا المثال هي الغاية الثانية؛ لأن الحكم لا ينتهي إلا بتحققها؛ فلا يصح جماع الحائض – على الصحيح من أقوال أهل العلم – حتى تطهر وتغتسل أيضًا.

وهذا التوجيه أعيد بصورة مشابهة لرؤية الهلال من الدار ومن خلل السحاب، فالدار وخلل السحاب ما هما إلا ابتداء لغاية واحدة، وهي حصول النظر للهلال.

---

(٥) التحبير (٦٣١/٢)، وشرح الكوكب المنير (٢٤٢/١).

(٦) كتاب سيبويه (٢٢٥/٤)، وشرح التسهيل، لابن مالك (٨/٣)، والجنى الداني، ص(٣١٢)، والتحبير (٦٣١/٢)، وشرح الكوكب المنير (٢٤٣/١).

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن (٤١٦/٤)، التحبير شرح التحرير (٦٣١/٢)، شرح الكوكب المنير (٢٤٣/١).

وبسبب وجود الخلل في السحاب، لما تمكن الناظر من رؤية الهلال في تلك الحال، وفي ذلك إثبات الهلال في تلك الحال، وفي ذلك إثبات لبداية الشهر.

وثانيها: أن «من» الثانية لابتداء الغاية في الظهور والكون[1]، والتقدير: رأيت الهلال من داري ظاهرًا من خلل السحاب، وشممت الريحان من داري كائنًا من الطريق.

ونازع ابن عصفور هذا الخبر المحذوف؛ لأن المجرور يقوم مقامه، إنما يكون بما يناسب معناه الحروف و«من» الابتدائية لا يفهم منها معنى الظهور ولا الكون، فلا ينبغي أن يجوز حذفهما منه[2].

وثالثها أن «من» الثانية بدل من الأولى[3].

في حين يرى ابن دقيق العيد أن دلالة «من على انتهاء الغاية ليس بقوي»[4].

ثالثًا: دلالة «من» على ابتداء وانتهاء الغاية:

وقد تجيء «من» للدلالة على ابتداء وانتهاء الغاية معًا؛ وذلك عندما تدخل على ما هو محل لابتداء الغاية وانتهائها، ومثال ذلك:

«أخذت من التابوت»، فالتابوت هنا موضع ابتداء الأخذ وانتهائه، وأيضًا: «أخذت من زيد»، فمجيء اسم زيد هنا لمحل ابتداء الأخذ وانتهائه[5].

---

(٢) ينظر: الغيث الهامع شرح جمع الجوامع، لأبي زرعة أحمد العراقي، مكتبة الفاروق الحديثة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م (٢٤١/١)، وتشنيف المسامع (٥٦٥/١)، والتحبير (٦٣١/٢، ٦٣٢)، وشرح الكوكب المنير (٢٤٣/١)، والجنى الداني، ص (٣١٢)، وشرح جمل الزجاجي، لابن عصفور (٥٠٨/١، ٥٠٩).

(١) ينظر: شرح جمل الزجاجي لابن عصفور (٥٠٩/١)، وتشنيف المسامع (٥٦٥/١).

(٢) هذا التوجيه والذي قبله حكاهما ابن يعيش والمرادي عن ابن السراج -رحمهم الله-. ينظر: شرح المفصل لابن يعيش (٤٨٨/٨)، والجنى الداني، ص(٣١٢)، وتشنيف المسامع (٥٦٥/١).

(٣) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه (٣٨/٢).

(٤) ينظر: الغيث الهامع (٢٤١/١)، تشنيف المسامع (٥٦٤/١)، وشرح جمل الزجاجي لابن عصفور (٥٠٨/١)، الجنى الداني، ص(٣١٢).

وقال التاج السبكي: «إن من معاني «من»: الغاية»[١].

ويحتمل تعبيره بالغاية دون انتهاء الغاية أمرين:

أحدهما: أن الغاية كلها - ابتداء وانتهاء - وحكاه ابن أبي الربيع. عن قوم، نحو: أخذت من التابوت، فالتابوت مبتدأ الأخذ ومنتهاه، فدخلت «من» الغاية كلها، قال - يقصد ابن أبي الربيع -: وهذا إذا حقق رجع لابتداء الغاية، لأنها دخلت. ولما لم يكن للفعل امتداد وجب أن يكون المبتدأ المنتهي واحدا، ألا ترى من لا يحدها للانتهاء خاصة، وإنما تكون للابتداء ما زاد على ذلك فبالانجرار.

الثاني: وهو الظاهر - أنه على حذف مضاف، أي: انتهاء الغاية»[٢].

ويتضح مما سبق بيانه، أن مذهب الأصوليين يوافق مذهب النحاة، فيما ورد لـ«من» من معان، كما أن اختلافهم يأتي تبعًا لاختلاف النحاة؛ لكن الأصوليين يهتمون اهتمامًا بالغًا بالجانب الدلالي، أو ما يسمى بنحو الدلالة؛ لما في هذا الجانب من قضايا ومسائل فقهية تتعلق بالأحكام الشرعية.

* * *

(٥) ينظر: جمع الجوامع (١/٥٦٤) مطبوع مع شرحه تشنيف المسامع.

(١) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه (٢/٣٨).

الخاتمة

نتهي من هذا البحث إلى النتائج الآتية:

١- أن حروف الغاية حظيت باهتمام العلم في التفسير وأصول الفقه والفقه والنحو وغيرهم، ومن أهمها إلى، حتى، من.

٢- أن حروف الغاية لها دور كبير في فهم السياق والدلالة الصحيحة على المراد والتأثير في الحكم الشرعي.

٣- أظهر البحث جهود علماء النحو والأصول في استخراج خفايا المعاني ودقائقها.

٤- كشف البحث عن جهود علماء الأصول في خدمة النحو وجهود علماء النحو في خدمة علماء الأصول.

٥- أن الأحكام الفقهية تأثرت وترتبت على ما قرره علماء النحو والأصول لحروف الغاية من المعاني والدلالات.

٦- أظهر البحث أن المادة النحوية وقواعدها شكلت عند الأصوليين جزءًا كبيرًا من أصول قواعدهم وأحكامهم وكانت فحوى المسائل متعددة ومباحث عظيمة عند الأصوليين.

٧- أن دلالات حروف الغاية لم تنتظم في عقد واحد عند الأصوليين، وقام هذا البحث بجمعها للتيسير على طلاب العلم عند بحث أي منها.

٨- أوصي الدارسين بمتابعة هذه الدراسة العامة بالتفصيل والتحليل بكل حرف على حدة.

والله ولي التوفيق

* * *

قائمة بأهم المراجع

حسب ورودها في الهوامش

١- القرآن الكريم.
٢- الجامع لأحكام القرآن – القرطبي.
٣- الأصول في النحو لابن السراج.
٤- الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي.
٥- شرح شذور الذهب لابن هشام.
٦- التمهيد في تخريج الفروع على الأصول للأسنوي.
٧- التعريفات للجرجاني.
٨- التحبير شرح التحرير لابن أمير الحاج.
٩- البرهان في أصول الفقه لإمام الحرمين الجويني.
١٠- سنن النسائي.
١١- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك لابن عقيل.
١٢- شرح الكوكب المنير لابن النجار.
١٣- شرح المنار لابن ملك.
١٤- صحيح البخاري.
١٥- علل النحو للوراق.
١٦- اللمع في أصول الفقه للشيرازي.
١٧- شرح شافية ابن الحاجب.
١٨- الكتاب لسيبويه.
١٩- مجمع الزوائد للهيثمي.
٢٠- المعجم الكبير للطبراني.
٢١- شرح الأشموني لألفية ابن مالك.

٢٢- تصريف الأفعال لعبد الرحمن شاهين.
٢٣- الصحاح للجوهري.
٢٤- همع الهوامع للسيوطي.
٢٥- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي.
٢٦- أساس البلاغة للزمخشري.
٢٧- المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية.
٢٨- الزاهر في معاني كلمات الناس للأنباري.
٢٩- موطأ مالك.
٣٠- صحيح مسلم.
٣١- سنن ابن ماجه.
٣٢- لسان العرب لابن منظور.
٣٣- تاج العروس للزبيدي.
٣٤- مقاييس اللغة لابن فارس.
٣٥- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده.
٣٦- تهذيب اللغة للأزهري.
٣٧- أقرب الموارد للشرتوني.
٣٨- كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي.
٣٩- شرح المفصل لابن يعيش.
٤٠- الخليل ليمتري.
٤١- البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي.
٤٢- تشنيف المسامع بجمع الجوامع للزركشي.
٤٣- شرح ابن قاسم العبادي على شرح جلال الدين المحلي على الورقات في الأصول للجويني.

٤٤- مدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل لعبد القادر الدمشقي.
٤٥- المستصفى للغزالي.
٤٦- اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع للأشعري.
٤٧- نفائس الأصول في شرح المحصول للقرافي.
٤٨- الإحكام في أصول الأحكام للآمدي.
٤٩- نهاية الوصول إلى دراية الأصول للأرموي.
٥٠- نهاية السول في شرح منهاج الأصول للأسنوي.
٥١- شرح العضد على مختصر ابن الحاجب.
٥٢- حاشية العطار على جمع الجوامع للعطار.
٥٣- غاية الوصول شرح لب الأصول للشيخ زكريا الأنصاري.
٥٤- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام.
٥٥- أصوا السرخسي.
٥٦- التلخيص في أصول الفقه للجويني.
٥٧- كشف الأسرار للبزدوي.
٥٨- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي.
٥٩- التلويح على التوضيح للتفتازاني.
٦٠- حاشية البناني على جمع الجوامع.
٦١- الآيات البينات لابن القاسم العبادي.
٦٢- حاشية الرهاوي على شرح المنار.
٦٣- حاشية الصبان على شرح الأشموني.
٦٤- حاشية الأمير على المغني لمحمد بن الأمير.
٦٥- تيسير التحرير لأمير بادشاه.
٦٦- فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت لعبد العلي بن نظام الدين.

٦٧- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير لمحمد عرفة الدسوقي.
٦٨- قواطع الأدلة في الأصول لأبي المظفر السمعاني.
٦٩- القواعد والفوائد الأصولية لابن اللحام.
٧٠- المهذب في فقه الإمام الشافعي للشيرازي.
٧١- المغني لابن قدامة.
٧٢- حروف المعاني وعلاقتها بالحكم الشرعي – د/ دياب عطا.
٧٣- محاضرات في أصول الفقه – د/ شوكت العدوي.
٧٤- العدة على إحكام الأحكام لابن دقيق العيد.
٧٥- معاني الحروف للرماني.
٧٦- معاني القرآن للفراء.
٧٧- شرح الكوكب الساطع في نظم جمع الجوامع للسبكي والسيوطي.
٧٨- مصابيح المغاني في حروف المعاني للخطيب الموزعي.
٧٩- مجمع الأمثال للميداني.
٨٠- المنخول من تعليقات الأصول للغزالي.
٨١- المحصول في أصول الفقه لابن العربي.
٨٢- البحر المحيط لأبي حيان.
٨٣- مجاز القرآن لأبي عبيدة.
٨٤- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك.
٨٥- معالم التنـــزيل للبغوي.
٨٦- تخريج الفروع على الأصول للزنجاني.
٨٧- أصول النحو العربي لمحمود نحلة.
٨٨- الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين لابن الأنباري.
٨٩- الكوكب الدري في تخريج الفروع الفقهية على المسائل النحوية للأسنوي.

٩٠- ديوان الحماسة لأبي تمام والجواليقي.
٩١- الإبهاج في شرح المنهاج للسبكي.
٩٢- التوضيح في حل غوامض التنقيح لعبد الله بن مسعود صدر الشريعة.
٩٣- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني.
٩٤- العين للخليل بن أحمد.
٩٥- جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري.
٩٦- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال للبكري.
٩٧- جمهرة اللغة لابن دريد.
٩٨- شرح شواهد المغني للسيوطي.
٩٩- معاني القرآن للزجاج.
١٠٠- بذل النظر في الأصول للأسمندي.
١٠١- إحكام النصول في أحكام الأصول للباجي.
١٠٢- المحصول في علم الأصول للرازي.
١٠٣- رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي.
١٠٤- رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب.
١٠٥- ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة للزبيدي.
١٠٦- شرح جمل الزجاجي لابن عصفور.
١٠٧- البرهان في علوم القرآن للزركشي.
١٠٨- الغيث الهامع شرح جمع الجوامع لأبي زرعة.

* * *